

العنوان:	سلطنة دارفور وعلاقتها بأرض الحجاز والدولة العثمانية في الفترة من (1450 - 1916م)
المؤلف الرئيسي:	السمني، بحيره كمال عبدالله
مؤلفين آخرين:	العقيد، سيد أحمد علي عثمان(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2013
موقع:	الخرطوم
الصفحات:	1 - 210
رقم MD:	833164
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة النيلين
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تاريخ دارفور
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/833164

الفصل الثاني

نشأة السلطنة ونظامها الإداري والقضائي

نشأة السلطنة:

لقد أجمعت الروايات السودانية على أن سلطنة الفور من أصل عربي. أما الذي عليه البعض وتدعيه سلالته إلى اليوم أنهم من بنى العباس ولهم في ذلك رواية تختلف في التفاصيل بحسب الرواية الأولى وتتفق في المغزى. وأشهر ما ورد أن الأمراء العباسيين بعد انقراض دولتهم ببغداد سنة ١٢٥٨م تفرقوا في بلاد المشرق، فذهب منهم شقيقان إلى تونس الغرب ومعهما نفر من الأعراب، كان اسم أكبرهما علياً وأصغرهما أحمد السفیان كان عازباً، ولكنه كان آية في الجمال فأحبته امرأة أخيه حباً لم يسعها معه الكتمان، فكاشفته بحبها، فأنكر عليها ذلك وعزلها، ولكن وعدّها أن يكتّم سرّها. أما هي فأشتعلت غيظاً من إبانها وعزمت على الانتقام منه، فأتت زوجها ذات يوم وقالت: أنى جئتكَ بأمر جلل لا يحسن كشفه، فأقسم لي أنك لا تبوح به لأحد فأقسم لها، فقالت إن شقيقك يراودني عن نفسي، وأنا أنتهره وأزجره وهو لا ينجر. فعظم هذا الخبر عليه وأغتم لأجله غماً شديداً. ولكنه بالرغم من ذلك لم يصدق ما قالت له زوجته على أخيه لأنه كان يحبه محبة فائقة ويثق بعفافه وشهامته، فبقى مرتاباً في الأمر ولما أحس أحمد أن امرأة أخيه قد إستاءت منه جعل يتلطف لها ويترضاها، فرأى أخوه منه ذلك فقوى الريب فيه وصدق ما قالت له زوجته فإسودت الدنيا في عينيه فكره أخاه والأرض التي كان نازلاً فيها، فأمر أن تقلع خيامهم ورحلوا من تلك الأرض، وتأخر في الطريق مع أخيه وهو يفكر بالذى يفعل، فأبّت نفسه أن يكشفه بسر زوجته ولم يطاوعه قلبه على قتله فقرر أن يعقره برجله فيسمه بوسم يؤنبه ما دام حياً، فاستل سيفه وفاجأه بضربة في رجله اليمنى وتركه يسيل الدم منه ولذلك سمي بأحمد المعقور^١. فأدرك أحمد سبب غدر أخيه ولكنه لم ينطق بكلمة بل صبر على الضيم وجلس ينتظر الموت، فعلم به عبيده وخاصته فلحقوا به وأجتمعا حوله وعالجوه حتى برئ جرحه، فسار بهم إلى الجنوب بطريق الصحراء مهاجراً لبلاد تونس حتى أتى جبل مره، وكان في ذلك الجبل أمة من شبه السود يقال لهم (الفور) وعليهم منهم ملك يسمى شاو دورشيت، فكان هذا الملك عريقاً في الهمجية، ولكنه كان كريم الطبع فلما علم بحضور أحمد المعقور أحضره لديه فأعجبه عقله وأدبه، فعهد إليه بتدبير منزله وسياسة مملكته، فاحسن أحمد السياسة، وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك^٢. ثم التفت إلى المملكة فنظم أحوالها وأصلح أمورها، فأحبه الملك حباً شديداً فزوجه ابنته

١ محمد بن عمر التونسي، شحيذ، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٧-٣٦٩.

٢ يوسف فضل، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، السودان، الخرطوم، شركة سوداتك المحدودة، ط٤، ٢٠٠٢م، ص ٩٣-٩٤.

الوحيدة (خيرة) * فولدت له ولداً سماه سليمان، فشب سليمان صائب الفكر، سديد الرأي، حسن السياسة، محباً للخير والإحسان. فأحبه أهل الجبل وألفوه، وتوفى أبوه أحمد السفيان في حياة جده شاو دورشيت، ثم توفى جده شاو فنادى به أهل الحل والعقد باجتماع الكلمة سلطاناً عليهم وبايعوه على السمع والطاعة وكان ذلك في سنة ١٤٤٥م^١. وهناك بعض الروايات التي تذهب الى أنه بعد أن توفى السلطان شاودورشيت اجتمع أعيان السلطنة واقترحوا أن يسندوا الحكم لأحمد المعقور زوج ابنة السلطان الذي لم يخلف ذكراً أو أختاً كفواً، إلا أن أحمد المعقور نصحهم أن يسندوا الحكم الى ولده سليمان بدلاً عنه لأنه غريب، أما ولده فهو جزء منهم. وهكذا خلف سليمان جده في حكم دارفور^٢. ولا شك في وجود عناصر أسطورية قوية في هذه القصة. هذه هي رواية أهل السودان في أصل سلطنة الفور، وهي لا تخرج عن حد الروايات الموضوعية التي يكثر أمثالها في السودان فما من قبيلة أو مملكة عربية اشتهرت في السودان إلا رجعت في نسبها الى الرسول (ص) أو الصحابة أو من أتصل بهم. وفي المشهور أن دارفور كانت في ذلك الزمن سلطنات متفرقة من السود وشبه السود وفي جملتها سلطنة الفور في جبل مره. وكان العرب قد هاجروا إليها من مصر أو تونس أو الحجاز أو منها جميعاً وملأوا مدنها وبواديها ولم يكن لهم سلطان واحد يرجعون اليه، بل كانوا قبائل شتى تحت حكم سلاطين البلاد الأصليين. فلا يبعد أن يكون سلطان الفور في ذلك الحين قد أعجب بنجاجة شاب من شباب العرب العريقين في النسب، فزوجه بإبنته فولدت منه سليمان فاسس السلطنة. على أن عامة أهل دارفور يرجعون في انسابهم الى أبي زيد الهلالي الذي اشتهر في تونس. ويقرر التونسي أن سليمان سولونج^{**} هو المؤسس الأول لسلطنة دارفور وأن فترة حكمه بين (١٤٥٠ - ١٤٧٦م) وأشار اليه بقوله: قيل أنه لما تولى السلطنة لم يكن في جبل مره مساجد للعبادة، فبنى المساجد، وأقام صلاة الجمعة والجماعة^٣. ولكن اختلفت الآراء حول الزمن الذي قامت فيه سلطنة الفور الإسلامية وفي هذا الصدد هناك أربع روايات:

* خيرة : من اسمها جاء اسم العائلة العربية المالكة الكيرا ، لأن الخاء عند الاعاجم تنطق كافاً بدلاً من الخيرة فنطقت الكيرا وهي تعني آل خيرة أو أبناء خيرة. أنظر: أحمد عبد الله آدم، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.

١ محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، ص. ص ٣٦٩-٣٧٠.

٢ الامين محمود محمد عثمان، سلطنة الفور الإسلامية، السودان، الخرطوم، الدار الوطنية للإعلام، ط ١، مارس ٢٠٠٠م، ص. ص ٩٢-٩٣.

** سولونج : معناها بلغة الفور (العربي) أو من يتكلم اللغة العربية ويدين بالاسلام دين العرب. أنظر: كمال محمد عبيد، العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية، السودان، الخرطوم، جامعة أفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، أبريل ٢٠٠١م، هامش

٤ ص ٢٩.

٣ تشييد، مصدر سبق ذكره، ص. ص ٣٦٩-٣٧٠.

الرواية الاولى: تقول بأن سلطنة الفور الاسلامية قامت فى عام ١٤٤٥م على يد سليمان سولونج الذى حكم لفترة تمتد من ذلك العام الى عام ١٤٧٦م.

والرواية الثانية: تجعل قيام هذه السلطنة على يد سليمان سولونج عام ١٥٩٦م وأنه حكم من ذلك العام الى عام ١٦٣٧م^١.

والرواية الثالثة: تقول بأن سليمان سولونج أقام سلطنته فى عام ١٦١٠م واستمر فى الحكم حتى عام ١٦٧٠م.

وتقول الرواية الرابعة: بأن سليمان سولونج حكم فى الفترة ما بين عامى (١٦٤٥ - ١٦٦٥م) حسب ما يعتقد بعض الكتاب والمؤرخين^٢.

هذه هى مجمل الروايات التى تتفاوت تفاوتاً كبيراً فى تحديد الزمن الذى قامت فيه سلطنة سليمان سولونج. وهذا التفاوت الكبير يدل على أنه ليست هناك نصوص قاطعة فى هذا الشأن، كما يدل على أن معظم الروايات التى جعلت قيام هذه السلطنة فى وقت متأخر يعود الى منتصف القرن السابع عشر الميلادى هى روايات وردت عند الأوربيين. وهى روايات لا دليل لها أو هى ضعيفة الدليل وقيامها على هذا النحو لا يتماشى مع طبيعة التطور فى المنطقة على اتساعها حيث كان العرب والمسلمون أخذوا بزمام التجارة وازدادت قوافلهم التجارية^٣ التى كانت تمر بدارفور من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب منذ قرون عديدة سبقت هذا القرن الذى قالوا أنه ميقات لظهور السلطنة وادت هذه التجارة لنشر الإسلام بين جميع القبائل والشعوب التى كانت تسكن الساحل العشبى الممتد جنوبى الصحراء الكبرى ابتداءً من قبيلة الفولانى* التى استوطنت نهر السنغال من جهة الغرب، إلى الغرب من الذين يستوطنون النيل الأعلى من ناحية الشرق هذا من

١ أحمد الشتاوى واخرون، مرجع سبق ذكره، ج٩، ص ٨٦.

٢ رجب محمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٤٤-٢٤٥.

٣ الشاطر البصيلى عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقى والوسط من القرن (١٧ - ١٩ م) مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٣٧٣.

* الفولانى : يعرف الفلان فى السودان باسم الفلاتا ، ولا يقتصر هذا الاسم على الشعبة التى تعيش فى جنوب جبل مره، بل يطلق على جماعة كبيرة منهم انتشرت فى كثير من جهات السودان ولاسيما شرقه وهم من الحاميين الذين امتزجت دماؤهم با لدماء العربية - واذا كانت بعض جماعات منهم هاجرت من مواطنها الاصلية شمال غرب نيجيريا وغرب افريقيا فى ازمة حديثة الى دارفور - فان غالبيتهم هاجرت اليها من زمن بعيد وهم يتكلمون اللغة العربية ويعيشون على نسق الحياة الذى اعتادوه فى غرب افريقيا . وعندما ظهر الاسلام فى افريقيا كانوا من اوائل القبائل الافريقية اسلامًا .
أنظر:المبارك الشريف أحمد الناجي، المقاومة الوطنية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

ناحية^١. ومن ناحية أخرى فإن المنطقة التي كانت تمثلها دارفور كانت ميداناً تقابلت فيه الهجرات العربية^٢ وغير العربية التي وفدت من الشرق والغرب والشمال قبل القرن السابع عشر الميلادي بقرون عديدة، هذا يعنى أن العرب فى القرن السابع عشر الميلادي كان قد استقروا فى وادى النيل! وليس هناك دليل على قيام هجرات واسعة اتجهت الى دارفور أو بلاد السودان فى القرن السابع عشر الميلادي، لأن ذروة تدفق هذه الهجرات كان فى القرن الخامس عشر الميلادي وما سبقه من قرون. وربما كان الهدف من كتابات هؤلاء الكتاب الأوربيين الذين قالوا بقيام السلطنة فى اواخر القرن السابع عشر الميلادي هو الإيحاء بان قيام دولة إسلامية فى هذا الجزء الهام من السودان أمر قد تم فى العصر الحديث وأن هذه السلطنة ليس لها جذور ضاربة فى التاريخ مثل السلطنات التي قامت قريباً منها فى بلاد السودان الأوسط والغربى. ولكى يحققوا هذا الهدف فإنهم يذكرون وجود سلطانين فى دارفور يسمى كل منهما باسم سليمان، فهناك سليمان الأول الذى يسمى سليمان سولونج أى العربى الذى حكم فى الفترة (١٤٤٥ - ١٤٧٦م)، وهناك السلطان سليمان الثانى الذى حكم فى فترة (١٦٩٥ - ١٧١٥م)، وبين هذين السلطانين أربعة عشر سلطاناً يحملون أسماء عربية وينكرهم هؤلاء الباحثون الأوربيون ويجعلون من سليمان الثانى هو سليمان الأول وينسبون إليه كل ما نسب لسليمان الاول المعروف بسولونج، وبذلك يلغون فترة حكم سلاطين الفور المسلمين التى تبلغ قرنين ونصف قرن من الزمان^٣. ومما مضى يترجح أن قيام السلطنة كان فى القرن الخامس عشر الميلادي وأن المؤسس هو سليمان سولونج أى سليمان الأول ولربما كان اسم دالى مرادفاً لأسم سليمان الأول ومما يدل على ذلك قوة النفوذ العربى والإسلامى أن أسماء خمسة عشر سلطاناً من الذين أعقبوا سليمان الأول عربية وإسلامية^٤.

نظام الحكم:

إن عادة سلاطين الفور مخالفة لعوائد غيرهم من الملوك والسلاطين حيث أن لسلطانهم السلطة المطلقة عليهم، فإذا قتل السلطان منهم ألوفاً لا يُسأل لماذا؟ وإن عزل ذا منصب لا يسأل لماذا؟ فهو تام التصرف فى كل أمر يريده، وإذا أمر بأمر لا يترجع فيه ولو كان منكراً، من قبيل الشفاعة، ولا ترد له كلمة. لكنه إذا فعل ما لا يليق من الظلم

٤ رجب محمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٦.

١ الشاطر البصليلى عبد الجليل، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧٣.

٢ رجب محمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص. ص ٢٤٧-٢٤٨.

٣ سيد أحمد علي عثمان العقيد، سياسة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

والعسف، تحصل له بغضاء فى قلوبهم ولا يقدرّون له على شيء. وإن السلطان لا يكون إلا من بيت السلطان، أى من سلالتهم، ولا يمكن تولية أجنبى منهم (عنهم) ولو شريفاً تحقق نسبه عندهم^١. وإن السلطان إذا تولى يجلس فى بيته سبعة أيام، لا يأمر ولا ينهى، ولا تقوم بين يديه دعوى، فإذا جاء اليوم الثامن خرج لاستقباله الحبوبات^{*} (الجدات) حيث أنهن يجتمعن ويأتين إليه، وكل واحدة منهن بيديها أربع قطع من الحديد، تسمى القطعة الواحدة منها كراباجاً، وفى كل يد كراباجان، يضربنها على بعضها فيحصل منها صوت، ويبد إحداهن قبضة من سعف أبيض، ومعها ماء اختلف أهل الفور فيما تركب منه، فتبل العجوز السعف من ذلك الماء، وترش به على السلطان، مع قول كلام لا يعقله إلا من عرف لغتهم ويأخذن السلطان فى وسطهن، ويطفن به البيت، ويتوجهن به الى دار النحاس^{**} فيدخلن البيت الى المنصورة^{***}، فيقفن ويضربن بالكراييج على بعضها، ويقلن من كلامهن ما سبق إيرادها، ثم يرجعن بالسلطان إلى كرسى مملكته، وبعد جلوسه ذاك تدخل عليه الدعاوى ويتناول الأحكام^٢. ومن عادة ملوك الفور تجليد النحاس^{****} وهى عادة لا توجد فى غير دارفور وهذا التجليد يعظمونه، ويجعلون له موسماً فى السنة، ومدته سبعة أيام. وكيفية ذلك أن السلطان يأمر بتبرع جلود الطبل كلها فى يوم واحد، فيتبرع بها ثم يوتى بأثوار خضر^{*****} اللون فيذبحونها ويأخذون من جلودها ويجلدون بها تلك الطبول. لكن أهل دارفور يقولون كلام لا يقبله عقل عاقل فأنهم يزعمون أن هذه الثيران من نوع بقر معروف عندهم، وأنها حين تذبح تنام وحدها بدون من يمسكها، ولا يذكر أسم الله عند ذبحها، ويقولون أن الجن هو الذى يمسكها وينيمها، ثم يأخذون لحومها ويجعلونه فى خوابى^{*****} ويترك ستة أيام مع الملح وفى اليوم السابع يأتون ببقر كثير وأغنام، وتذبح كلها ويطبخون لحومها^٣. وفى حالة الطبخ يأخذون اللحم الذى فى خوابى، ويقطعون قطعاً صغيرة، ويجعلون فى كل قدرة منه قطعاً تخلط باللحم الجديد، ثم تفرق

١ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص. ١٦٦-١٦٨.

* الحبوبات : هى طائفة عظيمة من العجائز (الجدات) ولهن رئاسة تسمى ملكة الحبوبات.

** دار النحاس : هو المحل الذى فيه النقاقير ، وهى طبول السلطان. أنظر: المصدر نفسه، ص ١٦٨.

*** المنصورة : هو الطبل الكبير الذى ظفر به السلطان تيراب من العبدلاب عند أم درمان اثناء حملته على كردفان. ويقول أحد المؤرخين أن السلطان تيراب لما فاز بنحاسهم أى (العبدلاب) سر به سروراً فأنقا حتى أنه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهوداً من الذهب وحفظه الخلف عن السلف الى أنقضاء ملكهم، وكان كل سنة يجددون تجليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الاتحاء، وداوموا (الفور) على ذلك الى أن سقطت دارفور بيد مصر فحمل هذا النحاس إلى القاهرة. أنظر: صديق أحمد حضرة، العرب التاريخ والجنور - أنساب أهل السودان ، السودان، أم درمان، المطبعة العسكرية، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٢٤٤.

٢ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

**** تجليد النحاس : هو تغيير جلود الطبول ، المسماه فى اقليم مصر بالنقاقير.

***** خضر : يعبر باللهجة السودانية بالاخضر عن الاسمر والأسود.

***** خوابى: أنية من الفخار.

٣ المصدر نفسه، ص ١٦٩.

الموائد للسلاطين وأولاد السلاطين، والوزراء، على حسب طبقاتهم ويقف. على كل مائدة منها حارس من طرف السلطان، ينظر من يأكل ومن لم يأكل، فإذا أخبر السلطان بأن فلاناً لم يأكل أمر بالقبض عليه في الحال. لأنهم يقولون أن من كان في قلبه خيانة للسلطان، أو غدر، لا يمكن أن يأكل هذا اللحم. وإن تعطل أحد بأنه مريض، أو لا يقدر على حضور الوليمة أرسلت إليه أوامري منه مع حارس أمين ينظر، هل يأكل أم لا، فإن أبى يقبض عليه إلا إذا كان معذوراً بقوة مرضه. وقبل إخراج الطعام تحضر العساكر كلها، ويقفون في بطحاء واسعة، أمام دار السلطان. ثم يخرج السلطان عليهم في زينته وأبهته، فتعرض عليه الجيوش كل سلطان بأتباعه، واحد بعد واحد. وكيفية العرض أن السلطان يأخذ أتباعه ويركض حتى يصل إلى محل السلطان، فإن كان من العظماء برز السلطان من جماعته إلى ملاقاته مقدار خطوتين أو ثلاثة. وإن كان غير عظيم ثبت السلطان في موضعه، فيرجع السلطان وجماعته ويفعل ذلك ثلاث مرات، وفي الثالثة يعرضون على السلطان، ثم يرجعون إلى محل وقوفهم. فيخرج السلطان الآخر بجيشه ويفعل كذلك، وهلم جرأ. فإذا تم العرض خرج السلطان راكضاً وتتبعه السلاطين، ويذهب أولاً إلى أعظمهم، ثم إلى مثله وإلى الأقل منه فهكذا حتى يمر عليهم أجمعين جبراً لخاطرهم. وكلما أتى قوماً صاحوا في وجهه بكلام يعظمونه به. فإذا تم العرض، دخل السلطان داره ودخل وراءه جميع أرباب المناصب من الوزراء والسلاطين وأولاد السلاطين. ويدخل السلطان إلى دار النحاس ويأخذ قضيباً ويضرب به المنصورة ثلاث ضربات. والعجائز أي الحبوبيات محدقات به وبأيديهن الكرابيج يضربنها على بعضها كما تقدم، ثم يمشين زوجاً زوجاً والسلطان بين الزوج الأخير حتى يدخل إلى محل جلوسه، ثم تفرق الأطعمة كما ذكر. وإذا كان أحد القواد والوزراء غائباً عن الفاشر في وقت تجليد النحاس، ثم جاء بعد ذلك أتهم بغدر أو خيانة فيسقى من ماء كبلي* ١.

أما نعوم شقير فروايته تختلف بعض الشيء عما ذكره التونسي فقد جاءت هذه الرواية في تجليد النحاس أنه كان سلاطين الفور يجلدون نحاس المنصورة الذي غنموه من العبدلاب مره في كل سنة، ويحتفلون بتجليده احتفالاً عظيماً^٢. يجتمع إليه موظفو البلاد وأعيانها، فيأتون بثور وخروف أبلغين، ينتقونهما من قطيع يربونه في جبل مره لهذه الغاية، ويذبحونهم ويجلدون بجلديهما النحاس المذكور. ثم يأخذون فخذاً من الثور

* ماء كبلي : هو ماء ينقع فيه ثمر من شجرة مسماة بكبلي ، وثمره كالجوز ، يقول أهل دارفور أن المتهم بشئ إذا شرب منه إن كان بريئاً يتقيأ في الحال ، وإن لم يكن بريئاً يشرب منه حتى يمتلئ بطنه ولا يتقيأ. أنظر: المصدر السابق، هامش ١ ص ١٧٧.

١ المصدر نفسه، ص. ١٧٥-١٧٧.

٢ جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص. ٤١٠.

وفخذاً من الخروف ويتركونهما حتى ينتتا، ثم يطبخونهما بشطة وملح كثير ويضعونهما فى قدح فى غرفة منفردة. ثم يؤتى بأولاد السلاطين فيدخلون واحداً واحداً إلى قدح الطعام الذى يحيط به الحرس من عبيد السلطان، ويبد كل منهم نبوت كبير. وكلما دخل واحد أكل لقمة من الطعام. فإذا لم يسعل من شدة نتانة اللحم وكثرة بهاراته، لم يتعرض له أحد بسوء، بل سألوه أن يغسل يديه وينصرف. وإذا سعل أنهم بأنه خائن متعمد الغدر، وأرسل فى الحال إلى جبل مره حيث يبقى فى السجن الى أن يعفى عنه أو يتولى سلطاناً آخر ويخرجه من سجنه^١. ويأخذون ضلعاً من أضلاع الثور ويحكونها حتى تصير رخوة جداً قابلة للكسر، فيأتى السلطان إلى بيت النحاس بموكب خاص ماشياً على قدميه ووراءه كبيرة أخواته، ومن ورائها جمهور من الجوارى لابسات أبهى الحلى والحلل، ومن خلفهن وعن جانبهن الخصيان* حاملين السياط. والسلطان نفسه مكموم بقطعة شاش يمسك طرفيها ومن خلفه كبير أمنائه، ويمشى الهوينى حتى يصل مكان النحاس فيأخذ الضلع التى أعدت له. ويضرب بها النحاس، فإذا انكسرت عدوا انكسارها نصراً وسلاماً وزغرد النساء وضرب النحاس، وإلا فأوجس الكل شراً، وخافوا سوء المصير. وبعد كسر الضلع يخرج منادٍ من قبل السلطان للاستعداد للعرضة، فيجتمع الكل مشاة وفرساناً حلقة كبيرة فى ساحة السوق، أمام منزل السلطان. ثم يخرج ملك النحاس بجنده محيطاً بنحاسات الفور السبع محمولة على سبعة جمال وفى مقدمتها (المنصورة)، ثم (البيضاء) التى غنموها من آدم سلطان وداى، ثم نحاسات فور الخمس القديمة، فيخترق الحلقة بموكبه حتى ينتصفها فيقف متجهاً نحو الشرق. ثم يأتى السلطان بموكبه الخاص وهو راكب جواده ويقف مقابل ملك النحاس متجهاً نحو الغرب، وبينها فسحة كافية لعرض الجيش. وموكب السلطان الخاص مؤلف من أولاده ووزرائه وأخته الكبرى والعلماء والقضاة. فتقف أخته وراءه راكبة جواداً، ومن ورائها الجوارى حاملات أباريق النحاس بلا ماء، وبينها وبين السلطان حملة الحراب المكسوة بالجوخ الملون. ويقف أولاد السلطان عن يمينه ووزراؤه عن شماله، ويقف أمام صفى الوزراء والأمراء صفان من العلماء والقضاة^٢.

وترفع فوق رأس السلطان مظلة واسعة جداً تظله وجواده، ومن ورائه رجلان حاملان مروحتين كبيرتين يزين حواشيها ريش النعام لحجب الشمس عن ظهره. وعن كل من

١ المصدر السابق، ص. ٤١٠ - ٤١١.

* الخصيان: مفرداها خصي وهو الرجل المجهوب، وهي عادة عرفتها دارفور قديماً ويقال أنها انتقلت إليها من مصر الفرعونية إلى تقاليدهم واحتفظت بها دارفور ضمن أعرافها، ووظيفتهم أنهم يتولون خدمة نساء الطبقات العليا فى المجتمع. أنظر: إبراهيم محمد إسحق، دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، السودان، الخرطوم، دار الوثائق القومية، ط٢، ٢٠٠٦م، ص ٥٤.

٢ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤١١.

جانبه مروحة يحملها رجل يروح بها عليه. ثم يبدأ الاستعراض، ويخرج الناس من الحلقة فرقاً، كل فرقة يتقدمها رئيسها راكباً على جواده، فيحيي السلطان بهز سيفه فوق راسه فيرد السلطان التحية بهز سوطه، ثم يرجع هذا الرئيس برجاله إلى مكانه من الحلقة فيعرض الرئيس الذى يليه وهكذا الى تمام الحلقة. ثم يتقدم السلطان وحده الى النحاس ويدور حول الجمال التى تحمله، فيhez السوط حول كل نحاس ثم يدور من داخل الحلقة لرؤية الجند، فتستقبله أخته وجواريتها بالزغاريد، ثم يأمر فينصرف النحاس. ثم يتبعهم بموكبه إلى أن يدخل منزله، فيتفرق الجنود الى منازلهم. وبعد أيام ينادى بمثل هذه العرضة، وهكذا الى سبع عرضات، ثم ينصرف كل الى بلاده^١.

كانت عادة سلاطين الفور أن يضربوا النحاس فى يومى الاثنين والخميس فى الصباح والمساء^٢. أما عن سلطته (السلطان) المطلقة فربما كان مبعثها ما قر فى نفوس الناس من أن السلطان شخصية مقدسة يجب طاعتها طاعة عمياء^٣. ومن مظاهر تلك القدسية أنه إذا ركض جواده وعثر الجواد فرماه أو وقع من شدة الركض، فإنهم يرمون بأنفسهم جميعاً من على ظهور الخيل. ولا يمكن أن يثبت أحد منهم على ظهر فرسه بعد وقوع السلطان، بل إن رأى الخدمة أحداً ثابتاً على جواده ولم يرم نفسه، يرمونه إلى الأرض ويضربونه ضرباً مؤلماً- وإن كان عظيماً- لما يرون من أن ثباته احتقار بأمر السلطان. وإذا جلس السلطان للحكم فى ديوانه لا يكلم الناس مباشرة، بل بواسطة ترجمان، إن لم يكن ديواناً عاماً، فإن كان ديواناً عاماً وقف المترجمون السبعة فى الوسط، أولهم عند السلطان، وآخرهم عند الناس أصحاب الدعوى، والعساكر حوله والكوركو* خلفه، والعلماء والأشراف جالسون والناس جاثون على ركبهم أمامه واضعين أيديهم على التراب، والموحييه** واقفون دائماً. فإذا سلم السلطان عليهم مسحوا التراب بأيديهم، وإذا تكلم أحد فى مجلسه لا يبدأ الكلام إلا بقوله: سلم على سيدنا إن كان عربياً وإن كان فوراًوياً، قال: (ابا كورى دونجا جنى) ومعناه ذلك. وإن كان السلطان هو المتكلم يقول سلم عليه، إذا

١ المصدر السابق وذات الصفحة.

٢ المصدر نفسه ونفس الصفحة.

٣ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٤٧١.

* الكوركو :هم حرس السلطان الخاص .

** الموحية : يطلق هذا اللفظ فى لغة الفور على الواحد والجمع، وهم طائفة عظيمة لها ملك مخصوص، وهو فى عرف الفور كالخلبوص، أو المسخرة فى عرف مصر، وكان لكل ملك من ملوك الفور الكبار موحية، يقف أمامه فى ديوانه، ويمشى قدامه فى سفره. أنظر : نعوم شقير، جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٧٥.

(كان) يتكلم بالعربى، فالترجمان يقول: (دنجاى داينج سيدى)*. وإذا كان السلطان يتكلم بالفورانية يقول: (دونجا جنى) إن كان المخاطب أعجمياً، وإن كان عربياً يقول (السلطان): سلم عليه. ولا خصوصية فى مجلس السلطان فى ذلك، بل كل مجلس تعمل فيه دعوى يقال ذلك حتى فى مجلس القاضى ومشايخ البلاد. ولا يمكن أن تعمل دعوى بغير (دونجا جنى). ويلزم بذلك إن الكلام يطول وإن كان قصيراً، لتكرار هذه الكلمة بعد كل كلمة أو كلمتين. وإذا افتتح أحد دعوى بغير ذلك يعيرون عليه، ويرون انه غير متمدن بل إذا كان فى مجلس حاكم يؤدب بالزجر، ما لم يكن عربياً فيعذر^١. ويبدو أن ثمة عاملين قيّدا من الوجهة الواقعية تلك الإدارة المطلقة، وهما التزام السلاطين بشرعية الإسلام الذي ارتضوه ديناً. ثم استناد المجتمع إلى قاعدة قبلية شبه اقطاعية^٢. أما كيفية مجلس السلطان فإن بيت سلطان الفور فى بلدة المسماة بالفاشر، والناس حوله ولهذا جعل لبيته بابان: أحدهما - وهو الأعظم - المسمى وريدايا ومعناه باب الرجال. والثاني هو المسمى وريبايا ومعناه باب النساء. وفى كل منهما له مجلس، فمجلس وريدايا هو الديوان الأكبر، وهذا المجلس واسع، لا يجلس فيه السلطان الا فى الأيام العظيمة أو للأحوال المهمة. ومحل الديوان يسمى اللقداية أو (الراكوبة)، وفى وريدايا يكون هذا المحل واسعاً وعلى هذه الصفة يكون السقف عالياً، بحيث يمكن أن يمر تحته الراكب على الهجين، ولا يمس السقف رأسه. وكان قبل ذلك داني السقف، لا يمر تحته إلا الفارس. وكان جلوس السلطان فى هذا الديوان، فى وسطه، لذلك بنوا له فيه محلاً عالياً، مركزه أعلى من جانبيه. فالمحل العالى المتوسط هو محل جلوس السلطان، والذي أقل منه من جهة اليمين هو محل جلوس العلماء، والذي عن يساره هو محل جلوس الأشراف والفقهاء وعظماء الناس، وأمامه رحبة واسعة^٣. فإذا أراد السلطان الجلوس لديوان عام وملاقة بعض رسل السلاطين، أو يوم فرح وسرور، زين محل جلوسه بالزردخانات** والمقصبات ووضعوا فى المحل المذكور كرسيّاً عليه مرتبة من حرير فجلس السلطان فى أُبّهته وجلس العلماء والفقهاء والأشراف حوله. ويقف وزيراه بين يديه وهما المسميان بالأميين، ويقف

* دنجاى داينج سيدى : معانها بلغة الفور سيدى يسلم عليك. أنظر: محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، ص. ١٨٨-١٩٢.

١ المصدر نفسه، ص. ١٧١-١٧٣.

٢ محمود خالد محمد الحاج واخرون، مرجع سبق ذكره، ص. ٣٢.

٣ محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، ص. ١٧٩.

** الزردخانات : كلمة فارسية مركبة معناها : دار السلاح وقد اطلقها المؤلف هنا على السلاح نفسه.

رئيس تراجمته أمامه قريباً منه، ويقف التراجم الستة أمام الترجمان الأول، بين كل ترجمانين مسافة قليلة بحيث كل ترجمان يسمع ممن يليه سمعاً جيداً، ويقف الكوركو بالعصافير خلفه، وصاحب الدنقار* معه، ويقف عبيد السلطان وأصحاب سجنه وغضبه وراء الناس، ويجلس الباقون كل واحد في المحل اللائق به، ويقف ملك الموحية قريباً من الترجمان الأول. وما أن يجلس السلطان في وريبايا فإن مجلسه يكون مختصراً وهو أشبه بمجلس سر لأن اللقداية التي يجلس فيها صغيرة، وحينئذ لا يقف أمام السلطان إلا ترجمان واحد أو اثنان، وإن كثروا فثلاثة. والسلطان قد يكون جالساً، وأكثر ما يكون جالساً بالليل، وقد يكون راكباً وأكثر ما يكون ذلك بالنهار. وإن جلس ففي محل عالٍ لكنه غير مزين، ولا فراش له حينئذٍ إلا سجادة واحدة، وبازائها مخدة. وإن السلطان لا يسلم عليه إلا بـ (دونجراي دونجا). وإذا بصق مسح التراب الذي يبصق عليه في الحال^١. أما نعوم شقير فيقول أن جلوس السلطان يكون في (التيرمه) على عنقريب أو سجادة في الأرض، وعن يمينه مخدة من قطن. وفي الراكوبة (كالالا) على دكة عالية من الطين مفروشة بالسجاد. وإذا جلس على (الكر) أو كرسى السلطنة لمبايعة الناس له، حمل في يده اليمنى صولجاناً** وفي يده اليسرى سيف مستقيم، وعلى جنبه الأيمن سيف محدب، فيبايعه أهل الحل والعقد ليلاً، وفي الصباح يبايعه العامة. وهذه هي صورة المبايعة: (بايعتك على السمع والطاعة الأمر أمرك والنهي نهيك على السنة والكتاب)^٢. أما بالنسبة لمقابلة السلطان كان القاصدون باب السلطان يأتون باب الراكوبة (كالالا) ويستأذنون في الدخول عليه، فإما أن يدعوهم إلى التيرمه أو يخرج فيقابلهم في الراكوبة (كالالا). وكان الداخل عليه يخلع نعليه وطاقيته وسلاحه خارج الباب، ويتقدم حتى يكون على عشرين متراً منه فيلقى بنفسه إلى الأرض ويحبوا على الركب والأيدى كالسلفاة إلى أن يكون على بعد أربعة أمتار منه فيقف جاثياً على ركبتيه منكس الرأس، ويدعو للسلطان ويمهد الأرض بكفيه يميناً وشمالاً ويقول: (أطال الله بقاءك وسترك الله ونصرك على أعدائك ولا أراك سوءاً ولا مكروهاً أبد الدهر). ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله، وكل من يدخل

* الدنقار : هو طبل عظيم من خشب مجلد من جهة واحدة ، واهرامى الشكل مقلوب ، وله صوت عالى ويستخدم في دارفور عند استقبال السلطان. أنظر:

محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ١ ص ٨٥.

١ محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، ص. ص ١٩٧-١٩٩.

** صولجانا : هو عصا طويلة ملبسة بالفضة المحلاة بالذهب.

٢ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٧٨.

على السلطان حتى ولو أنه أخوه لزمه مثل ذلك إلا العلماء وسلاطين الفريتيت فإن لكل فريق منهم آداب خاصة. أما العلماء فإن الداخل منهم على السلطان يحنى رأسه إلى أن يكون على أربعة أمتار منه فيجلس على الأرض جلسة المصلي، ثم يرفع كفيه فيرفع السلطان كفيه أيضاً ويقرآن الفاتحة معاً، ثم يأخذ العالم فى الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه والسلطان يؤمن على دعائه إلى أن يتم الدعاء. أما ملوك الفراتيت فالداخل منهم على السلطان يأتى بنفسه إلى الأرض وهو على ٢٠ متر ثم يدنو منه متدحرجاً كأنه جذع شجرة حتى يصير إلى أربعة أمتار منه فيستوى جالساً ويدعو للسلطان وهو يصفق بكفيه، ثم يشرع فى الكلام الذى جاء لأجله^١. أما عن لبس السلطان فيقول التونسي: أن السلطان والوزراء والملوك، فإن كل واحد منهم يلبس ثوبين كالأقمصة رفيعين جداً، إما مما يجلب لهم من مصر أو مما يعمل فى دارفور. لكن إن كانا من البيض فإنهما يكونان فى غاية البياض والنظافة، وإن كانا من السود فإنهما يكونان نظيفين أيضاً. ولا يتميز السلطان عن غيره فى ذلك إلا بما يلبسه زيادةً على القميصين وذلك أن يضع على رأسه كشميراً^{*}، ويتلثم بشاش أبيض يضع على رأسه منه طيات، وعلى أنفه وفمه لثام^{**} منه، وعلى جبينه أيضاً، بحيث لا يظهر منه إلا الأحداق. لكن اللثام يشارك فيه أروندولونج^{***} والكامنة^{****} فإنهما يتلثمان كالسلطان، وكذلك السلاطين الصغار يتلثمون أيضاً، لكنه يتميز عنهم بالسيف المذهب، والحجاب المذهب، وبالمظلة إن كان راكباً، وبالريش، والسروج المذهية، وعُدة الجواد التى لا يمكن لسواه أن يجعلها على جواده. وإن كان فى محل جلوسه لا يتلثم إلا هو وحده. وهناك من ذكر أنهم لا يمكنهم أن يتلثموا بحضرته، إلا إذا كانوا راكبين معه، أو كان كل منهم فى محل حكمه وديوانه^٢. وعادة اللثام هذه توجد أيضاً عند دولة الملتمين أو المرابطين كانت بمراكش من سنة (١٠٠٩ - ١١٤٦ م) وكان موطنهم أرض الصحراء بين البربر والسودان، وكانوا على بدواة تامة، أموالهم الأنعام وطعامهم اللحوم والألبان. وسمو بالملتمين لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون

١ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص. ٢١٠-٢١١.

* كشمير: هو نوع من أنواع الحرير غالى الثمن يلبسه ملوك الفور وهو من الزينة المعتادة عندهم.

** اللثام : هو عبارة عن قطعة قماش أو غيره توضع على الرأس فيغطى بها الرأس وجميع الوجه ماعدا العينين ، وعندما نقول لثم فمه لثاماً قبله (ولثمة المرأة وجهها معناها وضعت عليه اللثام). أنظر: محمد إبراهيم الكنانى، مرجع سبق ذكره، هامش ١ ص ٤.

*** الأروندولونج: هو منصب عظيم القدر، صاحبه يكنى برأس السلطان.

**** الكامنة: هى كلمة مفردة جمعها كامن، وهو من حيث العظم والجلالة أعلى من الأروندولونج ويكنى عنه برقية السلطان . أنظر: محمد بن

عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ١ ص ٨٣.

١ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١.

وجوهم. ورثوا هذه العادة عن أسلافهم وبقيت فيهم سنة. وقيل فى سبب تلثمهم أقوال كثيرة: منها أن أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر فى اليمن. وقيل أن قوماً من أعدائهم كانوا يتربصون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي ويسبون نساءهم، ويسلبون أموالهم، فأشار عليهم أمثالهم أن يبعثوا نساءهم إلى ناحية فى زي الرجال ويقعدون فى البيوت متلثمين كالنساء، حتى إذا داهمهم العدو خرجوا إليه فنكلوا به^١. وقيل أن سبب تلثمهم أن طائفة من لمتونه خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم، ولم يكن بها إلا المشايخ والنساء والصبيان. فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح، ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن، واستدار النساء بالبيوت فلما أشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنه رجالاً. وقال هؤلاء عندهم حريمهم يقاتلون عنهم قتال الموت. فبينما هم فى جمع النعم والمراعى، إذ أقبل الرجال إلى الحي فبقى العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو خلقاً كثيراً، وكان من قتل النساء أكثر. فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة. ويذهب بعض المؤرخين إلى أن ارتداء اللثام عند المرابطين يرجع إلى أسباب صحية اتقاء للغبار والرمال السافية والرياح العاصفة فى الصحراء. ومن أهم قبائل الملتمين لمتونه، وجدالة، وسمطة، وزغاوة، ومسوفة، ولمطة، وجزولة، وترغة، وقبيلة ترغة هى التى اشتق منها الطوارق وهى الفئة الوحيدة من البربر التى ما زال رجالها يلبسون اللثام حتى يومنا هذا فى تونس. والمرابطون أو الملتمون فى صنهاجة كانت الرئاسة فيهم لقبيلة لمتونه. ومسكنهم جنوب مراكش فى شمال شرق السنغال، فهم إلى بلاد السودان أقرب منهم إلى بلاد الشمال الأفريقى^٢. وكان دينهم الأصلى الوثنية ثم أسلموا بعد فتح العرب الأندلس، وحملوا إلى بلادهم من أمم السودان الإسلام، ثم افترق ملكهم بعد ذلك وصاروا طوائف واستمرت دولتهم نحو مائة وعشرين سنة^٣.

أما ما جاء فى رواية نعوم شقير أن السلطان كان يلبس قميصاً مقصباً فوقه برنس مقصب يجلله شال من الكشمير وعلى رأسه تاج مزركش من الذهب تحف به سبع ريشات رقيقة من الذهب والفضة على شكل الأمواس. وفى رجليه حذاء من السيختيان*

٢ محمد فريد وجدى، دائرة المعارف الإسلامية، لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة، ط٣، ١٩٧١م، مج٨، ص. ٣١٨-٣١٩.

٣ يحيى هويدى، تاريخ فلسفة الإسلام فى القارة الأفريقية، مصر، القاهرة، مكتبة النهضة الأفريقية، ١٩٦٥م، ج١، ص. ١٩٤-١٩٥.

٤ محمد فريد وجدى، مرجع سبق ذكره، مج٨، ص٣١٩.

* السيختيان : هو جلد الغنم المدبوغ والمصبوغ .

الاسلامبولى الأصفر، وعلى جنبه الأيسر سيف محدب محلى بالذهب^١. وللسلطان مجلس يستشير فيه مهام إدارة شؤون الدولة، وعرف هذا المجلس - مجلس السلطان أو البلاط السلطانى - باسم الفاشر. ولما كان هذا المجلس يعقد فى الخلاء أو الميدان الواسع أمام قصر السلطان، فقد أطلق على هذا الميدان اسم الفاشر، ولم يلبث هذا الاسم أن أطلق على قصر السلطان أو العاصمة النى يستقر فيها السلطان. ويلاحظ أن السلاطين الأوائل جرت عاداتهم التنقل بفاشرهم من منطقة إلى أخرى لما تتطلبه سياسة حفظ الأمن بالداخل أو الدفاع على حدود البلاد ضد أى معتد من الخارج. حتى إذا كان عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد (١٧٨٧ - ١٨٠٢م) اتخذ فاشره فى تندلتى^{**}، ثم ما لبثت هذه أن أطلق عليها اسم الفاشر، وهى مدينة الفاشر الحالية^٢. وكان السلطان يخرج فى موكب أسبوعى للصلاة الجامعة (فى جامع الفاشر) تتقدمه الجنود، كما يقف جنود آخرون على امتداد الطريق من القصر إلى الجامع حاملين أسلحتهم، ويسير فى موكبه هذا حتى يصل إلى الجامع فيقف الموكب خارج السور، ويدخل السلطان إلى غرفة معدة له عند باب السور، فيخلع ثياب الملك ويلبس لباس الصلاة وهو جبهه بيضاء وعلى رأسه عمامة بيضاء فوق مكابية^{***} من الحرير يغطيها ثوب الشاش الأبيض الرقيق على هيئة الخطيب. ثم يقف للصلاة فى غرفة خاصة به لها نافذة تشرف على الإمام، وبعد انتهاء الصلاة يرجع إلى الغرفة عند باب السور فيخلع لباس الصلاة، ويلبس لباس الملك ويعود بالموكب الى منزله^٣. ويحق للسلطان أن يقتنى من النساء العشرات، أربعاً منهن شرعيات والباقيات محظيات^٤. أما منازل السلطان فكلها مبنية من الطوب الأحمر غرفاً مستوية السطوح، وغرفة منامه وجلوسه مكسوة جدارها بالجوخ الملون، منها غرفة معدة لاستقبال العامة تسمى (كالا)^٥. ويعرف أفراد الأسرة المالكة من الذكور بالأمراء، عليهم رئيس منهم يحمل

١ جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٧٨.

^{**} تندلتى : هى اسم قديم لبحيرة وقد نشأت حولها مدينة الفاشر الحالية، وهى عاصمة مملكة الفور التى بناها السلطان عبدالرحمن الرشيد (١٧٨٧-١٨٠٢م) وسميت فيما بعد بالفاشر. أنظر: غوساف ناكتيجال، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

٢ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٤.

^{***} مكابية: هي طاقية يلبسها سلاطين دارفور وهي أشبه بالطاقية التي يلبسها علماء الأزهر الشريف.

٣ محمد بن عمر التونسى، تشحيد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٨-٤٠٩.

٤ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٥.

٥ أحمد عبد الله آدم، مرجع سبق ذكره، ص ٤٦.

لقب باسى * . أما الأميرات فعرفن باسم ميارم ** كما عرفت الأميرة الأولى أيا باسى *** .
والعجائز منهن فكن يعرفن بالحبوبات. أما السيدة الأولى فى القصر السلطانى فإنها كانت
تحمل لقب أياكورى، أى الملكة. وقد تكون الاياكورى إحدى زوجات السلطان، أو أمه، أو
أخته الكبرى وهى تتمتع بنفوذ واسع دون الأخريات^١.

النظام الإداري:

تميز نظام الفور الإدارى بالمركزية التى جعلت من السلطان محوراً للسيادة الرمزية
والفعالية. وكان حول السلطان حاشية مرتبة ومنظمة يمثل فيها العبيد المقاتلون والعبيد
الخصيان الأدوار الأساسية ابتداءً من زمن السلطان تيراب (١٧٥٢ - ١٧٨٧م). وظهر
هذا الوضع كبديل لهيمنة أسرة الكيرا وتحالفاتها القبلية فى منطقة جبل مره، منذ بداية
تأسيس السلطنة فى عهد أحمد المعقور (المقصود هنا المرحلة الإسلامية فى تأسيس
السلطنة). وما حدث من إدخال فى نظام السلطة لم يكن يعنى إلغاء النظام القديم بصورة
مطلقة، وإنما تم تعديله لضمان الولاء للسلطان. واستمر قادة المجموعات القبلية المحيطة
بإقليم جبل مره فى أداء مهام تقليدية فى مناطقهم وفى بلاط السلطان المركزى. وقد قسمت
السلطنة إدارياً إلى أربعة أقاليم هى: دار (التيكناوى) فى الشمال، ودار (أبو ديما***)،
ودار (أبو اما) فى الغرب، ودار (دالى) فى الشرق^٢. كان الإقليم الشرقى منفصلاً على
دارفور دون حدود ثابتة. أما المناطق الجنوبية فى السلطنة المتاخمة لدار الفريت فى
بحر الغزال الحالية فقد شهدت نزاعاً بين السلطنة، وقبائل

البقارة خاصة الرزيقات فى الجزء الأخير من عمر السلطنة. وظلت المنطقة المركزية فى
جبل مره تخضع مباشرة لإشراف السلطان. والحكام القبليين الذين كانوا يشرفون على

* باسى: لقب معناها فى لغة الفور عظيم أو طويل، وعمل صاحب هذا اللقب الإشراف على أمراء البيت المالك فى دارفور ومراقبة سلوكهم
وتصرفاتهم، ويشترط فيمن يحملون هذا اللقب أن يكونوا من نسل السلاطين السابقين. أنظر: قيصر موسى الزين، فترة انتشار السلطنات
والممالك الإسلامية، السودان، أم درمان، مركز محمد عمر بشير - الخرطوم للمنتجات الورقية، ط١، ١٨٢١م، ص ٩٢.

** ميارم: الميرم لقب يطلق على كل بنت من بنات السلطان فى دارفور ومعناها الأميرة ، وهو مأخوذ من مملكة برنو. أنظر المرجع نفسه
ونفس الصفحة.

*** أيا باسى: هى أخت السلطان الاعظم ويختارها السلطان من بين أخواتها لتكون المفضلة، ويسمح لها بممارسة النشاط العام ومقابلة افراد
الرعية والسلطان دون قيود لذلك شكلت واسطة مهمة بين الطرفين، وازداد نفوذ الاياباسى فى عهد السلطان محمد الحسين، عندما شغلت هذا
الم نصب أخته زمزم ، وكانت تصدر الارض لصالحها وتتدخل فى أمور الحكم. أنظر: المرجع نفسه ونفس الصفحة.

٢ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٧ .

**** أبو ديما: هو كناية عن ساعد السلطان الايمن.

٣ قيصر موسى الزين، مرجع سبق ذكره، ص ٩١ .

الأقاليم، هم جزء لا يتجزأ من رجال البلاط، وكانوا يمثلون القبائل المتحالفة مع عناصر الفور تحت قيادة الكيرا التي ساهمت في تأسيس السلطنة^١. وهذا وجه جوهري للاختلاف بين سلطنة الفور وسنار التي كان حكام إقليمها شيوخ القبائل المستقلين بكياناتهم الخاصة. وفي الجزء الأخير من تاريخ السلطنة ظهر نظام المقاديم^{*}، ولم يلعب الأمراء أولاد السلاطين دوراً واضحاً في حكم السلطنة رغم نفوذهم الاجتماعي و ثروتهم الكبيرة، وكان ذلك عنصراً لعدم الاستقرار. خاصة في الفترة الانتقالية من موت السلطان وتعيين خليفته. غير أن للأميرات في نظام السلطنة أدواراً مهمة، مثل زوجة السلطان وأمه واخته الكبرى، كما كان للأميرات الصغيريات (الميارم) نفوذاً اجتماعياً كبيراً. أما كبيرات السن (الحبوبات) فكان لهن الاحترام ويلعبن أدواراً مهمة في المراسيم الطقوسية التي اهتمت بها السلطنة اهتماماً كبيراً مثل حفل تجديد السلطان أو عيد تجديد جلد الطبل النحاسي السنوي. كما ساعد نظام شبه إقطاعي في علاقات الإنتاج الزراعية وكان أكثر استقراراً ومركزية من نظام سنار^٢. أما رجال حاشية السلطان الذين بيدهم سياسة البلاد المركزيه فأهمهم:

(١) الوزير: هو المسئول عن ادارة شؤون البلاد ادارياً وسياسياً وحربياً^٣.

(٢) الأبو الشيخ: هو منصب الوزير الأعظم أى رئيس الوزراء، والقائد العام للجيش السلطاني^٤. ومقامه أكبر مقام في السلطنة إذ هو المرجع الأعلى لقانون دالى^{**} الذى هو القانون العرفي في البلاد. وله حق الفصل فى الخلاف الذى يقع فى حرم السلطان، وهو مقدم الشرف رسمياً والمحافظ على نحاس السلطنة، وتشكل سلطته خطراً على السلطان نفسه. وكان أول من حمل هذا اللقب فى عهد السلطان دالى أو دليل خليفته لذلك كان يحمل اسم دالى أيضاً. وللاب الشيخ اليد العليا فى سن القوانين التى شرعت فى عهد السلطان دليل المؤسس الحقيقى للسلطة الحالية^٥. وذكر أحد الرحالة الذين زاروا دارفور عام ١٨٨٤م أن الأبو الشيخ كان يحتفظ فى منزله بنار مقدسة، وإنه كان لا يسمح بخروجها إلا

١ المرجع السابق، ص ٩٢.

^{*} المقاديم: مفرداها مقدم وهم حكام الاقاليم أو الولايات.

٢ المرجع نفسه ونفس الصفحة.

٣ نعم شقير، تاريخ السودان الحديث، تحقيق: محمد ابراهيم ابوسليم، لبنان، بيروت، دارالجيل، ١٩٨١م، ص ٢٠.

٤ نعم شقير، جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٧١.

^{**} دالى : فى لغة الفور تعنى اللسان وعندما نقول قانون دالى نعنى لسان السطان وأوامره.

١ قيصر موسى الزين، مرجع سبق ذكره، ص ٩٢.

عند وفاة السلطان فقط. وإن ناراً مشابهة لها كانت تحفظ مستقلة في قصر السلطان^١. ويعتبر الأبو الشيخ كبير الخصيان هو نفسه خصي يرأسهم جميعاً كما يرأس خدم القصر، لكن لا شأن له بالنساء فهو يحكم المديرية الشرقية. وعند وفاة السلطان تؤول له السلطة ويضع يده على كل الشارات ومفاتيح الخزائن ويحبس زوجات السلطان إلى أن يعلن السلطان الجديد. ومنذ أن أصبح الأبو شيخ كرا* مصدر خطر للسلطنة تم تقليص هذا المنصب، واستمرت سلطة الأبو الشيخ على هذا الواقع في عهود سلاطين الفور، ولكن بلغت قمته في عهد السلطان عبد الرحمن الرشيد والسلطان محمد الفضل حيث كان الأبو الشيخ كرا هو السلطان الفعلي إلى أن تخلص منه السلطان محمد الفضل ووضع حداً لسلطته^٢.

(٣) ملك النحاس: هو المسئول عن إدارة النحاس، وتجليده، وإخراجه في المناسبات والاحتفالات.

(٤) ملك دادات السلطان: هو المشرف على شئون خدم السلطان .

(٥) ملك الفاشر أو محافظها: هو المسئول عن العاصمة في جميع النواحي^٣.

(٦) ملك الجبابة:

هو كبير جباة الضرائب، ومهمته جمع ضرائب الغلال والأقطان، ويشرف على سوق غلال السلطان. ونسبة لجسامة مسؤولياته يستعين بعدد من الموظفين الذين يحملون ألقاباً تتطابق مع الألقاب المستخدمة في البلاط، ويحتفظ بعدد من الدور مماثلة لدور السلطان. وينتشر عماله على طول البلاد وعرضها تبعاً لاختصاصاته التي تمتد على نطاق السلطنة. وتخزن الغلال المتحصلة من الضرائب في مخازن يطلق عليها المطامير*

٢ رجب محمد عبد الحليم، مرجع سبق ذكره، ص ٤٦.

* محمد كرا : كرا في لغة الفور تعني الطويل ، كان محمد كرا يتولى منصب الاب الشيخ في دولة الفور في عهد عبد الرحمن الرشيد وهذا المنصب لا يتولاها الاخصي ولكن بالرغم من ذلك تولاه محمد كرا وهو حر وتفسير ذلك انه التحق بحرس السلطان تيراب ثم اصبح مشرفاً على تربية أولاده ومصالحة الخاصة وبذكائه أصبح مسيطراً على شؤون القصر فاقعه خصومه في مشكلة مع السلطان فاتهم بالخيانة مع حريم السلطان فقام بإخفاء نفسه بيده حتى يظهر إخلاصه للسلطان وتمكن بمهارته ان يساعد السلطان عبد الرحمن الرشيد في تولي العرش بعد وفاة اخيه السلطان تيراب فولاه السلطان عبد الرحمن منصب الاب الشيخ مكافاة له. وقد اشتهر كرا بحنكته وحسن تدبيره في شؤون الدولة واستمر في خدمتها حتى عهد السلطان محمد الفضل وكثر خصومه حتى اوقعوه في مشكله حادة مع السلطان وخرج عليه السلطان بجيشه فقاتله حتى قتله . أنظر : محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ٢ ص ٢٩٢.

٣ غوستاف ناكنتجال، مصدر سبق ذكره، ص. ٣٩٢-٣٩٣.

٤ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٧١.

* المطامير :هي عبارة عن حفر في الارض تفرش بنفايات الذرة وتوضع فيها الغلال وتدفن.

وتبقى فى مواقعها تحت عهدة مسئولى المديرىات والمشرفىن على أرض التاج، ويكتفى السلطان بالاضطلاع على إحصائيتها فقط^١.

(٧) ملك الحدادين :

يتم اختيار أبو الحداد أو بلغة الفور (فيو رنق سيال) من قبيلة الوهينية، وهم فرع من فروع الجلابة. وهو بحكم المنصب رئيس للحدادين، ومهمته يتولى تحصيل ضرائبهم المتمثلة فى آلات الرماية والفؤوس وغيرها^٢. ويحصل على معاشه من تلك الجباية^٣.

(٨) ارون دولنيج:

وهو الحاكم العام للعاصمة، والمسئول عن حفظ الأمن فيها^٤. ويقوم بعمل الحاجب فى القصر السلطانى. وله إقطاع وبلاد عظيمة، ولا يسلم عليه إلا بـ(دونجراى دونجا)، بمعنى سلام سلام، وترفع السجادة أمامه كالسلطان^٥. وعندما يكون السلطان مسافراً أو قانصاً وظيفته أن يمشى بعساكره أمام الجيش كله، لا يسبقه أحد^٦.

(٩) الكامنة (أبا خورى):

يسمى بلغة الفور (أبا خورى) أى أبو الفور، ووظيفته أن يمشى خلف جيش الاروندولنيج، كما يطلق عليهم ظل السلطان^٧. وكان يمنح إقطاعيات سلطانية تسمى (الحواكير) لينفق على نفسه من ريعها، لأنه لا يمنح راتباً محدداً غير أنه يملك النذر اليسير من الخدم والخيول. ويمارس سلطانه على من هو أقل درجة منه لدرجة إزهاق النفس، وإن أخطاه يتم التجاوز عنها فى كثير من الأحيان حفاظاً على هيئة السلطة التى يمثلها. ويضع الكامنة عمامة الشيخ السلطان ويتلثم مثل السلطان بحيث لا تظهر إلا عينيه، لكنه ينزع اللثام فى حضرة السلطان. ويجوز له فى داخل القصر أن يرتدى الشال بالطريقة التى يسمونها (الفر)^{*}. وفى احتفال الطبول يأكل منفرداً ويخدمه

١ غوستاف ناكتيجال، مصدر سبق ذكره، ص. ٣٩٦-٣٩٧.

٢ المصدر نفسه، ص ٣٩٢.

٣ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٤.

٤ محمد بن عمر التونسى، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ٥ ص ٢٤٤.

٥ محمد بن عمر التونسى، تشحيد، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

٦ غوستاف ناكتيجال، مصدر سبق ذكره، ص. ١٩٢.

٧ المصدر نفسه ونفس الصفحة.

* الفر : هو بسط الشال فى الوسط بدلاً من طيه.

"السومنكو"***. وبالرغم من هذه المكانة الرفيعة التي يتمتع بها الكامنة، إلا أنه يأتي في المرتبة الثالثة بعد الأبو الشيخ. وقديماً كان يُقتل بمجرد موت السلطان. وقد كان هذا الوضع متبعاً حتى عهد السلطان أحمد بكر****. ويروى أن أحد الكامنة ارتكب خطأً ضد بعض الأهالي في ذلك العهد، وردهم له السلطان بصحبة (تيكناوى) أى الرسول السلطاني مع توجيهه أن يعامل الناس بالعدل. شعر الكامنة بأن كرامته قد جرحت وأخذته العزة بالإثم فقام بجلد الرسول السلطاني، فعزله السلطان في الحال وعين بدلاً منه رجلاً من قبيلة أولاد مانا***** يدعى (رمضان)، ومنذ ذلك الوقت اقتصرت هذه الوظيفة على هذه القبيلة^١. وقد ذكر غوستاف ناكيتجال عند زيارته لدارفور: (لقد كان يشغل هذا المنصب رجلٌ يدعى (محمد زمبا)، أى الذئب الأسود الصغير، وينتمى لقبيلة مانا. وأن درجة الكامنة أدنى من درجة الملكة الأم، لأنه يستوجب عليه في حضرتها أن يمسح الأرض براحتيه، وهى تحية الأدنى للأعلى وفقاً للأعراف المتبعة. وبالرغم من ذلك فإن الكامنة يحظى باحترام العامة كما لو كان السلطان نفسه. ويتردد الكامنة على قصر السلطان من وقت لآخر لتحية السلطان، لكنه لا يدخل عليه مباشرة، بل ينصب له حاجب من القماش (تكية)*****، ثم يُخطر السلطان عن طريق أحد غلمان البلاط ويظل منتظراً حتى يؤذن له بالدخول. وكل من يدخل القصر على السلطان ينبغي عليه أن يترجل ويكمل المسافة بين الفاصل والقصر سيراً على الأقدام، ويستثنى من هذا الأمر الأبو الشيخ، والأياباسى، والاورندولنج والذين من حقهم دخول الساحة التي يبلغها الكامنة على صهوات جيادهم ثم يترجلون بعد ذلك^٢. ويذكر محمد بن عمر التونسي أن صاحب هذا المنصب له اقطاع كبير وعساكر كثيرة، ويفعل مثلما يفعل السلطان. وأن من عادة الفور أن السلطان إذا قتل

*** السومنكو او (السومنق كو) : صاحبه عظيم القدر، ذو ابهة عظيمة، واقطاع واموال وافرة. وتتكون عبارة سومنق كو من مقطعين سو وتعنى مكان الاجتماع اى المكان الذى يجتمع فيه الناس لتبادل الحديث وتناول الطعام اما منكو : فتعنى الصبى أوالخادم أوالرسول الذى يتعامل مع من يرغبون فى مقابلة السلطان. ويطلق على اتباعه السومنق دقولا ألا أن اللفظ الاخير طغى على الاسم الحقيقى للوظيفة. وتُسند وظيفة السومنق دقولا للاحرار والعبيد على السواء ، ويدخل فى اختصاصه الاشراف على الطبول السلطانية. أنظر: مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٧. أو أنظر: محمد بن عمر التونسي ، رحلة ، مصدر سبق ذكره، ص٤٠١.

*** أحمد بكر (١٧٢٦-١٧٤٦م): هو ابن السلطان سليمان سولونج الثاني، وقد اشتهر بكثرة الأولاد ، وقيل أنه كان له نحو مائة ولد، أحبته رعيته لما اشتهر من الحزم وإليه يرجع الفضل فى تعمير بلاد دارفور. أنظر: محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره هامش ١ ص١٣٥.

**** مانا: هى قبيلة ترجع فى اصلها الى مزيج من قبائل الفور والعرب ويبدو أن أم السلطان أحمد بكر تنتمى لها. أنظر: غوستاف ناكيتجال، مصدر سبق ذكره، ص١٩٢.

١ المصدر نفسه ونفس الصفحة.

***** تكية : كلمة مفردة جمعها التكاكى وهو نوع من القماش يصنع محلياً فى دارفور ووداى من القطن المحلى، ويباع فى الاسواق فى شكل قطع يفضلها الناس ويلبسها الفقراء خاصة واواسط الناس. أنظر: المبارك الشريف أحمد التاجي، المقاومة الوطنية ، مصدر سبق ذكره، ص٥٢.

١ غوستاف ناكيتجال، مصدر سبق ذكره، ص١٩٢.

فى الحرب، وسلم الكامنة، حتى رجع إلى محل الأمن يقتلونه، بأن يخنقونه سرّاً ويولون غيره للسلطان المتوفى. أما إذا مات السلطان على فراشه لا يقتل الكامنة^١. وقيل أنه يقتل سواء قتل السلطان أو مات ميتة طبيعية^٢.

(١٠) أبا ديما:

هو أعظم من أبا اومانج جلالة وأبهة وعسكراً، ويحكم اثنى عشر ملكاً من ملوك الفور، وله اقليم واسع يسمى تموركه، وله جميع ما للسلطان من الشارات والأبهة ماعدا النحاس، فإن طبله دنقار فقط، وهو كناية عن ساعد السلطان الأيمن. ووظيفته أن يمشى هو وعساكره عن يمين السلطان^٣.

(١١) أبا أومانيج:

هو قرين الكامنة فى كل شىء، وهو كناية عن فقرات ظهر السلطان. ووظيفته أن يمشى خلف الجيوش بجيش لا يعقبه أحد^٤.

(١٢) التيكناو:

هو لقب يطلق على الوالى فى ولاية شمال دارفور^٥. وهو قرين أبا ديما فى كل شىء. وهو كناية عن الساعد الأيسر للسلطان، ويحكم على اثنى عشر ملكاً أيضاً من ملوك الجهة الشمالية، وله اقليم واسع^٦.

(١٣) الأمناء:

وهم أربعة كل واحد منهم يدعى أميناً. وأصحاب هذه المناصب لهم إقطاع وعساكر، وليس لهم من شارات الملك شىء، وهؤلاء الأربعة ملازمون لمجلس السلطان^٧.

(١٤) الكوريات:

٢ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ١٨١.
٣ محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ٤ ص ١٥١.
٤ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٣.
٥ المصدر نفسه ونفس الصفحة.
٦ محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ١ ص ١٠١.
٧ المصدر نفسه ونفس الصفحة.
٨ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص. ص ٢٤٧-٢٤٨.

هى مناصب جليلة القدر إلا أنها أقل من مناصب الأمناء رتبة. وعددهم أربعة وهم الذين يشرفون على خيل السلطان^١.
(١٥) سو ميند قلة:

صاحب هذا المنصب مسئول عن حريم السلطان، فضلاً عن أنه كاتم أسرارهِ، ومبعوثه

الخاص. ولجماعة السوميندقلة رئيس يعرف بملك السوميندقلة، وهو منصب عظيم القدر ذو أبهة عظيمة وإقطاع^٢.

(١٦) كوركوا:

هم حرس السلطان الخاص. وتوجد فرقة منهم للموسيقى، وفرقة للمغنين وحاملي الطبول وغيرهم^٣.

(١٧) ملك وريبايا:

معنى وريبايا فى لغة الفور: باب الحريم، هو منصب جليل عظيم. ومن عادة ملوك الفور أن صاحب هذا المنصب لا يكون إلا خصياً، لأنه ينال منصب الأبو بعد موت (الأب) الشيخ. ويختص صاحب هذا المنصب بالإشراف على جميع الخصيان الموكل اليهم خدمة الحريم السلطاني. وهو أيضاً صاحب غضب السلطان، وتحت يده الحبس. فكلما غضب السلطان على إنسان أعطاه له فيسجنه فى سجنه. وتحت يده عساكر كثيرة، وصاحب هذا المنصب تحت أمر الأب الشيخ^٤.

(١٨) وريدايا:

معناها صاحب باب الرجال^٥.

(١٩) ملك العبيدية:

يلى منصب وريبايا. وهو الحاكم على جميع عبيد السلطان خارج القصر السلطاني فى الأقاليم، والمسئول عن مواشي السلطان وآلات السفر من خيم وقرب وغيرها^٦.

(٢٠) ملك القوارين أى (المكاسين):

هو الذى يحكم على التجار، ويتبعه عدد من جُباة الضرائب على التجارة الصادرة والواردة^٧.

١ محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١.

٢ غوستاف ناكتيجال، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠١.

٣ محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

٤ المصدر نفسه، ص ١٨٣.

٥ المصدر نفسه ونفس الصفحة.

٦ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٨.

٧ المرجع نفسه ونفس الصفحة.

(٢١) الشراتى :

هم حكام الأقاليم، وواحدهم شرتاى وهو مستقل إلى حد كبير. فهو يرأس أقسام إدارته المكونة من الدمالج أو شيوخ القبائل الذين هم بمثابة الحكام المحليين^١.

(٢٢) الدمالج :

هو جمع مفردة دملج وهو لقب يطلق على شيخ القبيلة. ويرأس الشراتى عدد من الدمالج، والدملج لفظ عربى معناه السوار^٢.

(٢٣) ملك الموحية:

هو أدنى المناصب وأقلها رتبة^٣. وهو لا يخشى السلطان ويذيع إليه أى أمر، ويعلم الأحكام والأوامر بعد المغرب وقبيل العشاء. ومن غرائب هذا المنصب أنه الوحيد الذى يراقب السلطان وربما يحق له قول كل شى ويفشى كل ما يسمعه من الأمراء أمامهم وأمام السلطان، فهو أذن السلطان ولسانه ولا يتحدث إلا بلغة الفور^٤. كما أنه يختص بإدخال السرور على قلب السلطان وتسليته^٥. وطائفة الموحية من أفقر أهل دارفور، لأنهم ليس لهم حرفة إلا السؤال، فإنهم دائماً يقصدون الأمراء، ويتكفون الناس. وتخاف الأمراء منهم ويكرمونه، لأنهم لا يكتمون حديثاً^٦.

(٢٤) أياكورى:

لقب كان يطلق فى دارفور على السيدة الأولى فى القصر السلطانى. سواء كانت هذه السيدة أم السلطان، أو أخته الكبرى، أو زوجة السلطان المتوفى وهو يقابل لقب ملك^٧. ليس لهؤلاء الموظفين مرتبات ولكن لكل منهم أرض باسمه له إيرادها. وإلى جانب ذلك له بعض الخيول والسلاح والحبوب والملابس له ولجنوده، وضريبة تؤدى للسلطان. والمكوك لا يحصلون على شىء، ولكن لكل منهم بضع فدادين يزرعها بالذرة والدخن والسمن والقطن^٨. وكانت هذه الوظائف عرضة للتعديل والتغيير تبعاً للظروف

١ المبارك الشريف أحمد الناجي، المقاومة الوطنية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

٢ محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، هامش ١ ص ٦٩.

٣ المصدر نفسه، ص. ١٨٨-١٨٩.

٤ محمود خالد الحاج وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

٥ مصطفى محمد مسعد، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٧.

٦ محمد بن عمر التونسي، تشييد، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

٧ المصدر نفسه، هامش ١ ص ١٩٣.

٨ زاهر رياض، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (١٨٢١-١٩٥٣م)، جمهورية مصر العربية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦م، ص ٢١.

والمستجدات، فمثلاً فى عهد السلطان سليمان الأول (١٤٤٥-١٤٧٦م) لما أخضع ملوك البلاد خلعهم من مناصبهم، وولى على البلاد نواباً من أهله وجعل مع كل نائب عدة شراتى أو مديرين، ومع كل شراتى عدة دمالج أو مأمورين، ومع كل دملج عدة مشائخ بلد. وقام عهد سليمان على الشريعة الإسلامية والعرف السائد، ونظراً لتباين واختلاف القبائل فى العادات والتقاليد اتبع سياسة حكيمة تجاه الزعماء المتمردين بأن قسم لهم الأراضي فخضعوا له، وأحست الرعية بالطمأنينة والرضا وبذلك تمكن سليمان سولونج أن يضع حداً للغلاغل والمشاكل الداخلية^١.بقى هذا النظام معمولاً به الى أيام السلطان موسى بن سليمان* (١٧١٥-١٧٢٦م)، فرأى عدم الإخلاص من النواب الوطنيين، فعين عليهم أربعة مقادير من رجال حاشيته الخاصين فى كل جهة من الجهات الأربع مقدوماً، وجرد النواب من السلطة، إلا أنه أبقاهم فى مراكزهم يحكمون بالاسم فقط، واستمر هذا النظام إلى انتهاء السلطنة. وكان تعيين المقدم يتم بفرمان خاص يقرأ على النواب، والدمالج، والشراتى، ومشائخ البلاد، والعربان وغيرهم. لباس المقدم كلباس السلطان، وإكرامه من ناحيته كإكرام السلطان، وحكمه نافذ فى كل القضايا حتى فى القتل، إلا فى بعض الأحوال الخاصة فإنه يرجع فى حكمه إلى السلطان^٢. وكان لكل سلطان من سلاطين الفور وكيل يسمى من ذرية السلطان شاورشيت يسمى الكامنة. وفى دار السلطنة من بيدهم الحل والعقد الميارم والحبوبات. وفيها رهائن النواب المسلمين ورهائن المجوس السبعة وهم: (الكارا** - دنقو - فرنقو - بنه - بايا - فروقى - شالا***)، وكلهم فى بلاد الفرتيت إلى الجنوب الغربى من دارفور. وكان كل من هؤلاء الملوك يرسل ولى عهده ليكون رهينة عند السلطان فيجعله السلطان فى خدمته، ويعوده على طاعته، ويعلمه القراءة والكتابة، حتى إذا مات الملك أعطى السلطان ولى عهده كسوة فاخرة،

١ أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب، مصدر سبق ذكره، ص ١٨ .

* السلطان موسى (١٧١٥ - ١٧٢٦م) : خلف أبيه سليمان سولونج الثاني، ورغم طول فترة حكمه إلا أن عهده كان أقل مجداً وازدهاراً من عهد أبيه وكان رجل سلام بيد أنه أجبر لخوض حرب ضد القمر الذين لم يفلح فى أخضاعهم، ثم خاض حروباً ضد المسبغات ودارت بينهم عدة معارك على سفوح جبل مره وعندما توفى موسى دفن بجوار آبائه فى طرة. أنظر: نعوم شقير، السودان الحديث، مرجع سبق ذكره، ص ١٩ .

٢ المرجع نفسه، ص ٢٠ .

** الكارا : هى من ضمن مجموعة قبائل الفرتيت فى جنوب بحر الغزال ، ولهم ملك يحكمهم، وهى من القبائل القوية.أنظر: محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، هامش ٨ ص ١١٦ .

*** شالا : مملكة من ممالك الفرتيت فى جنوب بحر الغزال وصفها المؤرخون بأنها من أضخم المناطق لكثرة الأمطار عندهم وأمطارها لا تنقطع إلا لشهرين فقط ولارتفاع درجة الرطوبة. أنظر: المصدر نفسه ونفس الصفحة، هامش ٦ .

وعكازاً وعصاً مفضضاً، وطاقيّة مقصبة بقرنين، ونعلين ونقارة* نحاس، وولاه بفرمان خاص على بلاده فى مكان سلفه. وكان على كل ملك من هؤلاء الملوك جزية سنوية من الرقيق والسمن والعسل^١. أما فيما يتعلق بملكية الأراضى فقد عمل السلطان موسى (١٥١٧-١٧٢٦م) بالنظام المشهور فى الشرق فجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان، وقسم بلاد الحضر إلى حواكير أو إقطاعيات، ووزعها على أهله وأخصائه وكبار قومه بحجج مختومة بختمه، فعاشوا بريعها هم وأهلها المزارعون. وكذلك قسم قبائل البادية فخص كل قبيلة بأمر من أبناء السلاطين، أو بعين من الأعيان تجبى له زكاتها. ويجمع السلطان نصيبه من الزكاة، والفطرة، والعشور، حسبما يفرضه الشرع الإسلامى. كان المقاديم يجمعون الزكاة من البادية، وملوك الجباة يجمعون الفطرة والعشور من الحضر. وربما تنازل السلطان عن نصيبه من الحاكرة أو القبيلة فأعطى صاحبها حجة (بالجاه) فلا يقربه أحد من الجباة أو المقاديم. وقد جرى على هذا النظام جميع السلاطين الذين أتوا بعد السلطان موسى إلى انقضاء السلطنة. أما محصول (دالى) فنصفه للسلطان والنصف الباقي لأصحاب الحواكير** والمقاديم والشرتاى على نسبة معلومة. أما دخل السلطان الذى كان ينفق منه على بيته وأخصائه وجنوده، فالعشور والفطرة من الحضر والزكاة من البادية. وعشور البضائع من التجار، ونصيبه من قانون دالى، والضرائب على التجار والحدادين. ومن الهدايا التى كانت تأتية من الحكام وأصحاب الحواكير التجار، إذ لم يكن يدخل عليه أحد من رعيته من الموظفين وأعيان وتجار إلا بهدية نفيسة تعرف "بالسلام" من الرقيق، الإبل، الخيل، البقر، الغنم، الذهب، الفضة، العسل، السمن والريش وغيرها. أما دخل المقاديم والشرتاى والدمالج فمن نصيبهم محصول دالى، والهدايا ومرتببات أصحاب الحواكير، ومن حواكيرهم الخاصة^٢. وقد شهد عهد تيراب (١٧٦٤-١٧٦٨م) تحولات حاسمة فى مجرى تاريخ السلطنة حيث أنه قام بمصالحة وداى، وأتجه نحو التوسع شرقاً، وتمكن فى نهاية عهده من ضم كردفان. وعلى الصعيد الداخلى قام

* النقارة : هى كلمة مفردة جمعها النقاير وهى فى دارفور عبارة عن طبل كبير من خشب ، مجلد من جهتين شكله بيضاوى، ويجلد فى الغالب بجلد ثور ، وله صوت عالى ، وتستعمل النقارة فى الافراح غالباً ، حيث يقوم بضربها ناس متخصصون. أنظر: المصدر السابق، هامش ٢ ص ٢٤٨.

١ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص. ٣٩٩ - ٤٠٠.

** الحواكير : جمع ومفرده حاكرة وهى قطعة أرض صالحة للانتفاع يهبها السلطان لأحد الاشخاص بمزيه من المزايا. وهى فى الغالب قد تكون ارض زراعية يمكن الاستفادة منها. أنظر: محمد إبراهيم أبو سليم، الفور والأرض- وثائق تملك، السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٧٥م، ص ٦٧. أو أنظر: حذيفة الصديق عمر، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧.

٢ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص. ٤٠٠-٤٠٣.

بتأسيس الفرق العسكرية من الرقيق الموالين له شخصياً بدلاً من الاعتماد على ولاء أفراد أسرة الكيرا المتقلبي الأهواء. ومن أبرز هذه الفرق حاملي الحراب (الكوركو)، وهم يمثلون حرس السلطان في القصر المعروف بالفاشر. كما أنه نقل العاصمة إلى النيل (ريل) خارج جبل مره لأول مره في تاريخ السلطنة، وهي إلى الشرق مما يشير إلى توجهه الشرقي للسلطة. وفي عهده ساد الأمن وأزادت هيبة الدولة^١. أما عهد عبد الرحمن الرشيد (١٧٨٧-١٨٠٢م) فقد تميز بالاستقرار والرخاء، وترسخت فيه الإصلاحات والنظم الإدارية التي أدخلها تيراب، ومن ذلك اعتماده على الجيش المحترف والجهاز الإداري المستقل عن أفراد العائلة والمعتمد على الرقيق المترقين في البلاد. واهتم بنشر العلم والإسلام وتقريب الفقهاء وإقطاعهم الحواكير وبذلك أضاف صبغة إسلامية للسلطنة. أما السلطان محمد الفضل (١٨٠٢-١٨٣٩م) فقد شهد عهده فترة من الاستقرار والتماسك النسبي في السلطنة، غير أن بوادر الضعف قد بدأت فيه ولم تبرز بوضوح ومن ذلك أنه شن حملات ضد عرب العريقات* الرحل في الشمال، عندما حاولوا التمرد عليه. ولحقت بالسلطنة في عهده خسائر كبيرة عندما غزا الأتراك المصريين السودان عام ١٨٢١م واستولوا على إقليم كردفان بعد أن هزموا حاكمهم. وأدى إستيلاء الأتراك المصريين على السودان النيلي وكردفان إلى آثار سلبية على اقتصاد سلطنة الفور تمثلت في حرمانها من تجارة وثروة كردفان وتعويق تجارتها مع مصر بسبب التوتر بين الدولتين^٢. كما توسعت الدولة في عهده وكانت له علاقات مع الحكومة التركية، واستطاع ضم سلطنة وداي لحكمه^٣. وشهد عهده تقاوم مظاهر الضعف والتفكك في السلطنة لكن ليس بالدرجة التي لحقت سلطنة سنار قبيل سقوطها. ودخلت السلطنة في حرب عقيمة مع قبائل الرزيقات الرعوية في الجنوب، كان من آثارها إنهاك قوة السلطنة. وأزداد منح السلطان للحواكير أي الإقطاعيات الزراعية واسترضاء الأعوان وجلب تأييدهم، مما أثر على تماسك الجهاز الإداري للسلطنة، فالأراضي التي كانت تمنح كإقطاعية لأحد الأمراء أو القادة أو الأعيان، تصبح خارج الصلاحيات الإدارية للحكام المحليين التابعين مباشرةً للسلطان. وبرز خطر أساسى من النواحي

١ قيصر موسى الزين، مرجع سبق ذكره، ص ٨٨.

* العريقات : من عريق أو عراق ويقال أنهم هاجروا من العراق، وهم من عرب لخم وجزام ومن القحطانيين الذين هاجروا إلى شمال الجزيرة العربية واستقر جزء منهم في العراق. ولأسباب سياسية هاجروا إلى مصر وشمال أفريقيا ثم إلى بلاد السودان. أنظر: عثمان عبد الجبار عثمان، مرجع سبق ذكره، ص ١٦.

٢ قيصر موسى الزين، مرجع سبق ذكره، ص. ص ٨٩-٩٠.

٣ محمد بن محمد إسحق، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.

الاقتصادية والعسكرية والسياسية تمثل فى نشاط التجار الجلابة المسلمين القادمين من مناطق النيل الشمالى فى السودان، وذلك فى منطقة بحر الغزال التى تمثل أهم سلع السلطنة فى تجارتها الخارجية وهى العبيد والعاج وغير ذلك من الثروات الغابية. وتزامن هذا النشاط مع طموح الدولة التركية المصرية لضم دارفور الى ممتلكاتها فى السودان^١. أما عهد السلطان علي دينار (١٨٩٨-١٩١٦م) فقد كان فى جوهره شبيه بالنظام الإدارى للخليفة عبد الله التعايشى، فقد استفاد السلطان علي دينار من إقامته الجبرية بأمر درمان جوار الخليفة عبد الله التعايشى وملازمته له أن يتعرف على نظام الإدارة والحكم فى الدولة المهدية. ولما عاد إلى دارفور عمل على الاستفادة من ذلك النظام ودمجه بما هو موروث من نظم سلطنة الفور، وما اقتضته ظروفه فأختط بذلك نظاماً إدارياً محكماً فأستطاع بواسطته أن يسير دفعة حكومته فى دارفور. فقد بنى السلطان علي دينار سلطنة على المركزية المطلقة، والتى جعلت السلطة متمركزة فى يده. ولضمان إستمرارية حكمه قسم البلاد إلى أربعة مقدمات وهى: مقدومية شرق الجبل، غرب الجبل، شمال الجبل وجنوب الجبل. ثم تفرعت هذه المنظومة إلى تنظيم إدارى شمل كل القبائل الكبيرة بعد أن وزعت لهم الحواكير، والتى روعي فيها مجاورة كل قبيلتين متعاونتين ومنسجمتين فى العادات والتقاليد، وذلك تقادياً لأى إحتكاكات قد تحدث نتيجة أى خلل إدارى^٢. وكذلك قسم البادية وخصّ كل قبيلة بأمر من أبناء السلاطين أو بعين من الأعيان يجبى له زكاتها. وسار على دينار على نفس السياسة التى انتهجها السلطان موسى فى توزيع الأراضى كحواكير لتلك القبائل لضمان ولائها ومساندته فى الحكم. وكذلك منحت الحواكير لرجال الدين وقد كان لها أثر واضح فى نشر الاسلام فى دارفور. وكانت كل حاكورة تمنح لرجال الدين تلحق بها مسجد ومدرسة لتعليم القرآن الكريم. ونظراً إلى أن هذه الحواكير كانت تمنح أراضى خصبة فقد مكنهم هذا من الانفاق بسخاء على طلاب العلم فجذبوا إليهم أعداد كبيرة من الطلاب الذين لا يزالون يطلق عليهم إسم (مهاجرين)، وهذه الناحية كان لها الأثر الكبير فى نشر الدين الإسلامى، لأن أعداداً كبيرة من هؤلاء الطلاب كانوا يعودون إلى أهلهم ويقومون بنشر الإسلام فى مناطقهم. وقد كانت هذه الطريقة من أنجح الطرق فى نشر الإسلام بدارفور. وأن ارتباط قيام خلاوى المهاجرين

١ أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

٢ المبارك الشريف أحمد الناجي، مديرية دارفور، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠-٥٢.

بالحواكير كان الهدف منه أن تكون بالقرب من القرى لتأمين الجانب الغذائي للقرية، وعلى المهاجرين تأمين الجانب الخدمي وعلى ذلك يتم التكافل وتوزيع الأدوار. أما إدارة السلطان على دينار لأقاليم دارفور الأربعة فكثيراً ما كان يتم عن طريق إختيار حكام من نفس الأقاليم لشغل الوظائف المختلفة من الزعماء المحليين وذلك لمعرفةهم بأحوال المنطقة^١.

نجد أن نظام الإدارة يختلف من منطقة إلى أخرى فى تسميات الوظائف الإدارية، حيث نجد أن الهياكل الإدارية فى المناطق العربية تتكون من شيخ الفريق برئاسة شيخ القبيلة. أما فى المناطق الغير عربية فيتكون الهيكل الإداري من الشيخ، ثم الدمج، ثم الشرتاي ثم المقدوم. وقد كان يساعد السلطان على دينار فى الحكم مجلس يسمى مجلس السلطان، وكان يتكون من الوزراء، والأمراء، والملوك، والملازمين، وكبار قادة الجيش والعلماء. ويعقد هذا المجلس جلساته يومياً فى العصر حيث يحضر الأعضاء مبكراً ويظلون فى انتظار السلطان حتى يخرج إليهم. ثم تبدأ جلسات المجلس، وهو ليس مجلس شورى، بدليل تكوين هذا المجلس الذى يضم فى عضويته الأعيان، إلا أنه مجلس إستشارى لا قرار له، ولا يجرؤ أحد على تقديم النصح للسلطان خوفاً من غضبه. كما كان منسوبى إدارات السلطان لم يكن لهم رواتب بل يعتمدون على ما تجود به الحواكير من الخير، وكذلك الحال بالنسبة للسلطان^٢.

أما فيما يتعلق بالأجور فدخل السلطان نفسه من حقوق السلطنة فله العشر والفطر من الحضر، والزكاة من البادية، وعشور البضائع من التجار، والضرائب على التجار والحداحيد، وهدايا الحكام وأصحاب الحواكير. ويصرف السلطان من هذا الدخل على بيته وأخصائه وجنوده. وأن جميع ما تم ذكره من أصحاب هذه المناصب لا يعطيهم السلطان راتباً بل كل منصب له إقطاع يأخذ منه أموالاً، وما يأخذه من الأموال يشتري به خيلاً، وسلاحاً، ودروعاً، وسيوفاً لتجهيز عساكره. وهؤلاء الذين يتولون المناصب كان السلطان يمنحهم أراضى بغرض الاستفادة منها، لذلك لم يحدد لهم مكافآت مالية. وكان علي دينار يقوم أحياناً بزيارات تفقدية للأقاليم لمعرفة أحوال الرعية والوقوف على مدى قدرة الحكام فى تسيير الأمور فى مناطقهم. كما أنه كان يوجه الدعوة الى كافة زعماء

١ المصدر السابق، ص ٥٢.

٢ الن ثيوبولد، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٩.

الأقاليم للحضور إلى الفاشر في عيد الأضحى، لتجديد فروض الولاء والطاعة، وأن يقدم كل حاكم منطقة تقريراً كاملاً عن منطقته. وكان هؤلاء الزعماء يأتون بخراج مناطقهم الموسمية، بالإضافة للهدايا الخاصة للسلطان. وكان على هامش هذه الاجتماعات الرسمية يشهد الزعماء مراسيم تجديد النحاس والاحتفالات المصاحبة لها. واهتم كذلك بالتوثيق والأختام وتدل زيارته التفقدية هذه لمرؤوسيه على مدى متابعته لحكام الأقاليم بغرض تجويد الأداء وتطويره، ودعوته لهم بحضور عيد الأضحى بالفاشر، كان يهدف من ذلك أن يكون مؤتمراً لمناقشة قضايا البلاد وتوضيح سياسات السلطان التي يجب تنفيذها من قبل ولاية الأقاليم الأربعة. وسياسة التجوال هذه جعلت القبائل في دارفور تدين لحكومة الخرطوم بالولاء^١. وكان سلاطين الفور يكرمون رجالهم الذين يصدقونهم الخدمة ويمهرونهم الحواكير والعربان. وكانوا يختمون كتبهم من أعلاها بختم كبير على شكل دائرة قطرها نحو أربعة قراريط*، وهي منقوشة في سطور مستوية، بين كل سطر وسطر خط دقيق أو خطين، يضع السلطان فيها اسمه وأسماء البعض من أجداده على قدر ما يسع الختم، إلا أنه لا بد من إنهاء النسب بالسلطان سليمان جدهم الأعلى ومؤسس سلطنتهم. وقد يكون حول السطور سطرًا في دائرة مكتوبة فيه آية من القرآن^٢.

النظام القضائي:

كان القضاء قبل تولية السلطان سليمان سولونج عرش السلطنة اسم بلا مسمى. وكانت الحكومات فوضى في عملها وليس لها قانون في قضائها غير السيف والنار، ولا حكم لها غير الظلم والعار، ولا تنفيذ لها غير الخراب والدمار^٣.

ولما استقر سليمان على العرش وانتشرت الدعوة الإسلامية في البلاد دخل القضاء في عهد جديد من ضروب الإصلاح رويداً رويداً. وذلك العهد يعتبر فاتحة عهد القضاء في سلطنة دارفور. وأصبح القضاء بعد ذلك في هذه السلطنة بيد السلطان كالقضاء في سائر البلاد الإسلامية. فهو الذي يتأمل ليظهر له جلياً من يليق للقضاء من كبار جماعة علماء البلاد، واضعاً نصب عينيه قول سيدنا محمد صلوات الله وسلامه

١ المبارك الشريف أحمد الناجي، مديرية دارفور، مصدر سبق ذكره، ص. ٥٢-٥٤.

* قراريط: مفردتها قيراط وهي تعادل ٢٠٠ ملم.

٢ المصدر نفسه، ص. ٥٤-٥٥.

٣ حسين سيد أحمد المفتي، تطور نظام القضاء في السودان، السودان، الخرطوم، دار الوثائق المركزية، ط١، ١٩٥٩م، ج١، ص٤٨.

عليه: (من قلد غيره عملاً وفي رعيته من هو أولى به فقد خان الله ورسوله وخان جماعة المسلمين). وبعد أن يتم اختيار السلطان للقضاة، يمدهم بسلطة القضاء للحكم بين الناس بالحق في منازعاتهم، ومخاصماتهم، ولإنصاف المظلومين من الظالمين، ولقطع المخاصمات والمنازعات - لأن القضاء معناه في الإصطلاح فصل الخصومات - وقطع المنازعات على وجه خاص صادر عن ولاية عامة. وفي كثير من الأحيان فإن السلطان ينظر في الدعاوى الهامة بنفسه، خصوصاً تلك التي تتعلق بالعائلة المالكة، لأن من الجائز شرعاً أن يقضى السلطان بين رعيته في خصوماته حيث أنه هو الذي يمد القضاء بسلطة القضاء، ولا يمكن لإنسان أن يمد غيره بولاية إلا إذا كان هو مالكها. وقد كان السلطان يصدر الهبات الصادرة منه لغيره باسمه من غير حاجة إلى تصديق عليها من القضاة^١. وكان السلطان في بعض الأوقات يباشر التصديقات على الهبات الصادرة من غيره لأحد أفراد بيته. لم تنشئ الحكومة منصب الإفتاء ومن أراد أن يستفتى في مسألة، فعليه أن يسأل عالماً من العلماء. ولم يكتف العلماء الذين يقلدهم السلطان القضاء بالفصل بين مواطنهم في منازعاتهم، ومخاصماتهم، وإقامة العدل بين الناس، وإعادة الحقوق إلى أهلها وتثبيت الأمن. بل بادروا بإرشاد الناس إلى طريق الهداية والإرشاد، وكانت لهم في حلقات الدروس صولات وجولات. وينقسم القضاء في دارفور إلى قسمين هما:

(١) شرعياً: وهو المشروع بالكتاب والسنة .

(٢) عرفياً: وهو المشهور بالعرف^٢.

(١) القضاء الشرعي:

كان القضاء في دارفور شرعياً على مذهب الإمام مالك. وربما يوجد في المحكمة الواحدة أكثر من قاضٍ يتشاورون فيما يليهم من قضاياء. وكان تعيين القضاة يتم على يد السلطان الذي احتفظ لنفسه بسلطة منح الأراضي ونزعها بحجج مختومة للانتفاع بريعتها للزراعة، والتي كان وجود بها على من يشاء من العلماء والقادة العسكريين. وقد كان القضاة الذين يعينهم السلطان يقومون بالتدريس والإفتاء، بجانب الفصل في

١ المرجع السابق، ص ٤٩ .

٢ حذيفة الصديق عمر، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٦.

النزاعات. ولم تكن لديهم رواتب شهرية بل كانوا فى الغالب يمنحون حواكير لزراعتها^١ دون أن يدفعوا أي عشور، أو أي جباية للدولة. لذلك كان القاضى يظهر بمظهر طيب فى مأكله ومسكنه وملبسه. فكان القاضى يرتدى جبة وقفطاناً من أجود واردات القطر المصرى، ويلبس الطربوش المغربى من غير أن يضع عليه عمامة. كما كان معظم القضاة من خريجي الأزهر الشريف إذ ذهب كثير من الطلاب حينذاك إلى الأزهر الشريف لتلقى العلم^٢. ولهم فيه رواق يسكنون فيه وهو رواق دارفور، وهذا الرواق ما يزال قائماً حتى اليوم^٣.

كان القضاة والعلماء يجتمعون فى ضحى كل يوم فى غرفة اسمها (التيرمه) بدار السلطان بالفاشر عاصمة السلطنة، وبعد أن يكتمل عددهم، وينتظم عقدهم، يقدم لهم الطعام والشراب الحلال، وبعد أن يأكلوا مريئاً ويشربوا هنيئاً يسمع الناس صوتاً من الخارج مفاده: (أيها الحاضرون إن مولانا السلطان فى طريقه إليكم)^٤. ثم بعد قليل يدخل عليهم السلطان وهو لابس ثياب الملك ومعه رجل يقال له فى عرفهم (خشم الكلام^{*}). فيقف الناس إجلالاً واحتراماً للسلطان، ويقف السلطان يطوف حوله سبعة من العلماء يحمل كل منهم مصحفاً شريفاً سبع مرات، ثم يجلس السلطان ويأذن للناس بالجلوس فيجلس الجميع. ويلاحظ هنا ممارسة أعمال وأفعال تخالف الشرع ولعلها من الموروث الوثنى الذى تزوج مع الموروث الشرعى، لأن الطواف لا يكون ولا يجوز إلا حول الكعبة^٥. ثم يشرع أحد العلماء فى تلاوة آيات من القرآن الكريم، وبعد الانتهاء بصدق الله العظيم يرفع العالم كفيه، ويرفع السلطان كفيه، وكذلك جميع الحاضرين ويقرأ الجميع الفاتحة، ثم يأخذ العالم فى الدعاء للسلطان بقوله: أطل الله بقاءك وسترك ونصرك على الأعداء ولا أراك سوء ولا مكروهاً أبد الدهر، أو بغير ذلك من الدعاء. ثم يخاطب خشم الكلام الحاضرين بقوله: (سيدنا يسلميك) أى أن مولانا السلطان يقرئكم السلام فيجيبه الحاضرون بصوت مسموع بالدعاء للسلطان بقولهم الله يسلمه - الله يحفظه - الله ينصره وإلى غير ذلك من الدعوات الصالحات. وتوجد حجرة مقابلة للحجرة التى بها السلطان والعلماء والقضاة، يجلس فيها

١ المرجع السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

٢ تاج السر عثمان الحاج محمد، تاريخ الفور الاجتماعى، السودان، الخرطوم، دار عزة للنشر والتوزيع، (ب. ت)، ص ٥٠.

٣ ابراهيم آدم اسحق، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤٦.

٤ حسين سيد أحمد المفتى، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٥٢.

* خشم الكلام: هو المترجم فى بلاط الفور (المتحدث الاعلامى أو الناطق الرسمى للسلطان). واصله فم الكلام، وذلك لأن السودانيون يستخدمون خطأ كلمة (خشم) بدلاً من كلمة فم. والخشم أنما هو واحد من الخياشيم أى المناخر. أنظر: المرجع نفسه، هامش ١ ص ٤٥.

٥ المرجع نفسه نفس الصفحة.

عادةً أرباب القضايا فيسأل خشم الكلام كلاً عن ما يريده فيخبره بقضيته، فيبلغ خشم الكلام السلطان بالقضايا، فيأمر السلطان القضاة بالنظر والفصل فيها بالمنهاج الشرعي. وبعد ذلك يخرج القضاة إلى حجرة أخرى بدار السلطان، وهي المحكمة، فيجلس القضاة على الأرض كلاً على فروته الممتازة بهيئة لجنة تتألف من ستة أو سبعة قضاة. فيرأس هذه اللجنة أحد القضاة وهو أوفرهم علماً ومعرفة وأكثرهم تفتناً لدقائق الأمور شرعاً. ثم تشرع اللجنة في سماع القضايا فإذا وجد المدعى والمدعى عليه بالفاشر مقر المحكمة سمعت الدعوى حالاً. وأما إذا لم يوجد المدعى عليه يتم إعلانه بالحضور وتحدد جلسة لسماع القضية. ويجلس الحضور على الأرض كجلسة المصلى تأدباً للمحكمة، وينظر كل منهم إلى الأرض ولا يرفع رأسه إلا إذا طلب منه الكلام، ويسوى رئيس الجلسة بين الخصوم بالجلوس والإقبال والإشارة والنظر، ولا فرق في ذلك بين غنى وفقير، ووزير وخفير، وكبير وصغير. ويحافظ رئيس الجلسة على حسن سير مجلس القضاة، فإذا حصل من أحد الخصوم إساءة أدب أو حصل منه ما يشوش على المحكمة، أو يخل نظامها انتهره الرئيس بقوله: "يا نجس" وغير ذلك من الألفاظ، فإن لم يمتثل وتمادى في فعله أمر بجلده في الحال. ويحيط بالقضاة وهم بالجلسة جماعة من الرجال عرفوا آنذاك بالفلاقة*. ويباشر رئيس الجلسة التحقيق في القضايا بحضور بعض باقي الأعضاء، ويشاور فيما يحتاج إليه ولا مانع أن يلفت أحد الأعضاء نظر الرئيس إذا فات عليه شيء^١. لا شك أن مخاطبة المدعى عليه بهذه الصعوبة وبهذه العبارة مجانية لروح العدل الشرعي، لأن الإنسان مكرم بغض النظر عن دينه أو عرقه، الأمر الذي يدل على تجاوز في أحكام الشرع من هؤلاء القضاة. ونلاحظ أن المرافعات في المحكمة التي سبق ذكرها لا تدون محاضر فيها بل يسمع القاضي أقوال الخصوم وشهادة الشهود من غير كتابة. ولكن نجد أن مثل هذا العمل لا يبعث الطمأنينة في النفوس لاسيما في عهدنا الحاضر. أما في تلك العهود فقد كانت النفوس طيبة والقلوب طاهرة والناس على جانب كبير من الأمانة. أما الآن فقد أصبحت نظرة الإنسان لأخيه تختلف عما سبق، لأن الإنسان أخذ ينظر إلى أخيه نظرة الطير إلى الصائد لا نظرة الجيش للقائد بمعنى أنه إذا حكم القاضي على أحدهم عاد إليه في وقت آخر، وأنكر سبق الحكم فلذلك لا بد من التدوين. وكان

* الفلاقة: يسمون بالجالوزة أو الحجاب، وهم الغلمان الأكبر سناً الذين يخدمون في القصر، ويسمون أيضاً كوركوا. فهم تحت إمرة ملك يسمى ملك الفلاقة، وهو يفوق منصب السومق كونه نفوذاً رغم أنه أقل منه درجة. أنظر: محمد بن عمر التونسي، رحلة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩. أو أنظر: غوستاف ناكنتيجال، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٢.

١ حسين سيد أحمد المفتي، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٥٢.

للقضاء قدسية وجلالة، وللقضاة روعتهم وهيبتهم. وما كان الغرض من القضاة عند الخصوم سوى إظهار الحق ولو كان على النفس. ولا يؤثر في القضاء بينهم عدم تدوين الدعاوى، والبيانات والمحاضر التي ظهرت فيما بعد وعرفت، واستماع الأقوال بهذه الكيفية قد يؤدي إلى نسيان جزء من حيثيات القضية. ولكن يحسب لهم أنهم كانوا يتحرون العدل تصديقاً لقوله تعالى: (فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)^١.

وبعد أن يتم التحقيق اللازم في القضية بحيث لم يبق إلا النطق بالحكم فإن رئيس اللجنة يؤجل القضية، ويذهب للتشرف بمقابلة السلطان فيخبره بما تم في تحقيق القضية وبما سيكون الحكم، فإذا لم يوافق السلطان أعيد النظر في القضية من جديد. أما إذا وافق السلطان فينطق الرئيس بالحكم للمتخاصمين في الجلسة المحددة، وبهذا يكون الحكم واجب التنفيذ غير قابل للمعارضة مطلقاً، وغير قابل للطعن بوجه من الوجوه، هذا في القضايا الكبرى الهامة. أما في القضايا البسيطة فتصدر اللجنة الحكم فيها من غير رجوع إلى السلطان. وكان اختصاص المحكمة الفصل في النزاع المتعلق بالأموال والجرائم، وأمثال ذلك وقضايا الزواج والطلاق، وغير ذلك مما يتعلق بأمور الزوجية، وقضايا الوراثة، والوصايا، والهبية، والوقف وغير ذلك. كما كان اختصاصها الفصل في جميع قضايا المسلمين على اختلاف أنواعها. وكانت جميع الأحكام في هذه المحكمة تطبيقاً لأحكام الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك. وكل ما سبق ذكره من النظام القضائي بالمحكمة الكبرى بالفاشر عاصمة السلطنة. أما باقي الأرياف فقد كان لكل جهة قاضيه، وتتألف كل محكمة من قاضي واحد. وكان من اختصاصه النظر في القضايا الجزئية كقضايا طاعة الزوجات لأزواجهن، وتسليم الحقوق، والديون البسيطة، والضرب الغير مبرح وأمور الزراعة. أما القضايا الكلية فيجب إحالتها إلى الفاشر للنظر فيها هناك بواسطة لجنة القضاة. وكان للخصوم الحق في استئناف أحكام قضاة الأرياف أمام لجنة القضاة بالفاشر^٢.

وخلاصة القول فقد كانت المحاكم المذكورة تؤدي مهمتها على أفضل وجه، وتحقق رغبات الأهالي بأمانة وإنصاف^٣.

(٢) القضاء العرفي:

رغم أن المرجع الأول في القانون هو الشريعة لكن كانت هناك عادات وتقاليدها تعتبر بها إلى جانب ذلك، ولها سلطة القانون عرفت بالقانون العرفي^١. وقد جمعت هذه

١ سورة المائدة، الآية (٤٥).

٢ حسين سيد أحمد المفتي، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص. ٥٨-٥٩.

٣ المرجع نفسه، ص. ٥٩.

الأحكام العرفية كلها فى كتاب واحد عرف بقانون دالى. والقاضى الأعظم الذى يرجع إليه فى هذا الاختصاص هو كبير الخصيان الملقب بأبى الشيخ. أما لفظ دالى فهو يعنى لسان فى لغة الفور. ويراد بقانون دالى لسان السلطان أو أوامره. على أن بعض الرواة يجعل من دالى سلطاناً من سلاطين الفور المتقدمين وأشهرهم^٢. وتعود شهرته بنوع خاص إلى مجموعة القوانين المدنية التى ينسب إصدارها إليه. وكان يقوم بهذا القانون العرفي الأجاويد، والأصل فى الأجاويد عُرف السكان، وهذا العُرف لا يستطيع الإنسان أن يحصره إذ أن لكل قرية أو بادية عُرفها، ولكل قبيلة عرفها أيضاً^٣. ويقوم مجلس الأجاويد بالفصل بين المتخاصمين فى بيت من بيوته، أو فى الجامع، أو فى ظل شجرة فى الطريق، إلا أنه لا يوجد محل خاص، ولا وقت معين لجلوسهم. بل لهم أن يجلسوا فى الليل أو النهار، ومتى ما شاءوا، وحيث شاءوا. ولا يوجد رئيس لجلستهم فيجوز أن يتكلم اثنان منهم فى وقت واحد. وهكذا يستمر الحال على هذا المنوال حتى تتفق كلمتهم على رأى واحد فيصدر الحكم. وليست لديهم محاضر، ولا دفاتر بالمره، بل يتم كل شيء عندهم من غير كتابة. ولهؤلاء الأجاويد الحق فى نظر كل ما ينشأ من خصومة لجميع المقيمين بأرض القرى على السواء. سواء أكان هذا النزاع القائم متعلقاً بالجرائم أم بالأحوال الشخصية بشرط أن يقبل الخصمان بحكمهم، ومتى ما صدر منهم الحكم وقبله المتخاصمون فإنه ينفذ فى الحال بواسطة الحاكم المعروف بالشرتاي، وهكذا حكم البداية فى كل أمة من الأمم فى الشرق، والغرب، وفى سائر الأديان فإنه ينشأ بسيطاً ولكل بداية نهاية^٤. ومن مواد هذا القانون ما يلى :

١- إن يكون الملك وراثياً للأب الأكبر، إلا إذا كان الابن الأكبر غير لائق للأحكام، فيولون غيره ممن فيه اللياقة من الأسرة المالكة .

٢- حرمان النساء من الإرث .

٣- السارق يغرم ست بقرات، أو ثمنها، وإذا لم يدفع يسجن حتى يفديه أهله.

٤- جزاء القاتل إذا كان القتل عمداً أو غير عمد، مائة بقرة إذا كان بقاري، ومائة ناقة إذا كان جمالي.

٥- كل من يزنى بالمرأة المتزوجة يدفع ست بقرات، وإذا كانت ثيباً يدفع بقرة واحدة.

١ شوقي الجمل، مرجع سبق ذكره ، ج١، ص ٣١٤ .

٢ محمد بن عمر التونسي، تشحيذ، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٢.

٣ حسين سيد أحمد المفتى، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ٦٠ .

٤ المرجع نفسه، ص ٦٣.

٦- كل من يضرب غيره ضرباً مبرحاً (يكسر العظم أو يهشم اللحم) يحاكم بغرامة ثوب من الدمور، فإذا كان الضرب غير مبرح فالغرامة نصف ثوب من الدمور.

٧- من يشرب الخمر يجلد ثمانين جلدة، وهذا يعكس الأثر الإسلامى. وزيادة على الجلد تكسر أوانى صناعة الخمر^١ فى بيته. وبالرغم من ذلك فهم لا ينقطعون عن تعاطي الخمر لأنهم مولعون بشربها^٢. حكى أن رجلاً من أهل دارفور طاب له شرب (المريسة) وحتى لا يمكنه الانقطاع عنها مع تكرار وقوع الحد عليه، فحفر له غاراً تحت الأرض، وسقفه سقفاً متيناً وجعل له باباً ضيقاً، وصار كلما أحب شرب المريسة ينزل إلى الغار فيشرب حتى يسكر، ثم يصعد على سطح الأرض، وبقي على ذلك حتى سمع حاكم البلدة به، فباغته فى الغار وهو يشرب، فقال الرجل: (لا حكم لك على هنا، فأن الحكم لكم على ظاهر الأرض، أما الحكم فى باطن الأرض فله).

٨- تدفع العشور من أهالى المدن، وتجمع من القرى. وفرضت الضرائب على التجار ويدفعون العشور وهى بضائع. كما فرضت الضرائب على أصحاب المهن كالحدايد وغيرهم.

٩- إذا حصل حريق فى الصحراء فى العشب الذى ترعاه المواشى غرمت أقرب بلدة إلى الحريقة على حساب بقرة لكل درقة، وذلك سواء كانت الحريقة من أهل البلدة أو من طارئ مفاجئ. والمراد بتعميم هذه الغرامة منع الناس عن إحراق الزرع وتحريضهم حتى إذا ما نشبت حريقة فى جوارهم أسرعوا إلى إطفائها فى الحال لئلا تتسع فيتسع الجزء عليهم^٣. وهذا يؤكد تقدم الوعي البيئي لدى سلطنة الفور ورجالها وسبقاً لكل الاتفاقيات والقوانين الدولية اليوم التي ترمى لحماية البيئة والحياة الفطرية. وتفرض تنظيمياً مدنياً وحضارياً قوياً، وفيه استنهاض لأمة دارفور وتكليفها بواجبات عامة تحفظ كيان المجتمع والزرع والضرع^٤.

١٠- كل من يشتم غيره شتيمة فظيعة فغرامته ثوب من الدمور، فإذا كانت الشتيمة غير فظيعة فالغرامة نصف ثوب من الدمور.

١١- لا عقاب على الجرائم التي تقع بين الصغار بعضهم على بعض، ويقال لهذه الجرائم فى عرفهم (فراشة).

١ على عبد الله أبوسن، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣ .

٢ محمد بن عمر التونسي، تشديد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٢ .

٣ نعم شقير، جغرافية وتاريخ، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٤٧٤ .

٤ محمد بن عمر التونسي، تشديد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٢ .

١٢- لا عقاب على من يأخذ من بهائم غيره بغرض ذبحها في وليمة عرسه، بشرط أن يكون العدد المأخوذ في حيز المعقول^١.

١٣- العجوز التي تقتل شخصاً بالسّم اعتقاداً منها بأن البلد سيلد أي (أن الإنتاج في موسم ذلك العام سيكون وفيراً)، يصادر مالها ويحرق بيتها، وتلف بالشوك وتضرب بالعصا حتى الموت. والسبب في هذه العقوبة أنه كان هناك اعتقاد في دارفور أن الموسم الذي يبادر فيه بقتل شخص له صفات جسمانية معينة ككبر الرأس، أو حجم العينين، أو طول العنق بالسّم غيلةً، فإن الخريف في ذلك العام يكون طيباً ومباركاً والإنتاج وفيراً. ومع دخول الإسلام واعتناق الناس له تخلوا عن هذا الاعتقاد الفاسد. ولكن ظلت طائفة من النساء الكبيرات في السن على الاعتقاد الجاهلي ويتولين مهمة القتل في بداية الموسم. فجاء هذا القانون لإستئصال هذا الاعتقاد الجاهلي الذي كانت ترهق به أرواح الأبرياء وخاصة أرواح الغرباء الغافلين الذين لم يكونوا على علم بهؤلاء النساء العجوزات^٢.

١٤- في مجال شئون المواطنين وحفظ الأمن أستند الفور على أعرافهم المحلية، ونذكر على سبيل المثال تنظيم (الورناق) عند المساليت، وهو تنظيم ديمقراطي لشبان وشابات القرية أو مجموعة قرى في دار مساليت. والكلمة إصطلاحاً تطلق على التنظيم الشبابي، وتزامله في هذا التنظيم الدقيق امرأة من الميارم أي من لها صلة علاقة بالسلطان، ويطلقون عليها في تنظيم الورناق (شوشية) أي الشيخة. ويتم اختيار كليهما بصورة ديمقراطية مباشرة، ومعايير الاختيار هي الإلتزام بأعراف وتقاليد القبيلة الفاضلة كالشجاعة والكرم ونكران الذات وغيرها^٣. ولكن لا بد من أن نقف قليلاً للنظر في أحكام هؤلاء الناس التي أساسها الدائم يقوم على العُرف، لأنه يجوز شرعاً بناء بعض الأحكام على العرف. وعلى أي حال فإن العُرف إنما يعتبر فيما ينص عليه الشارع، فإذا كان العرف مخالفاً للمنصوص عليه فلا يعتبر لأنه يكون عادةً ممقوتة يردّها الشارع. فمثلاً في المادة الأولى التي تتحدث عن الملك الوراثي للابن الأكبر يلاحظ أن هذا القانون لم يتكلم عن فقه أو علم الميراث بقدر ما اهتم بالناحية الجسمانية والسن فقط فهذا مخالف لمنصوص الشرع. ولكنها تتفق معه في مسألة اللياقة للحكم كما في قوله تعالى: (وقال لهم نبيهم إن الله قد

١ تاج السر عثمان الحاج محمد، مرجع سبق ذكره، ص. ٥٠-٥١ .

٢ الأمين محمود محمد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص. ٩٤-٩٥ .

٣ تاج السر عثمان الحاج محمد، مرجع سبق ذكره، ص. ٥٢ .

بعث لكم طالوت ملكاً، قالوا أنى يكون له الملك علينا، ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال، قال أن الله أصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم)^١.

المادة الثانية: مخالفة لقانون الشريعة الإسلامية مخالفة ظاهرة واضحة وهو الفصل في مسألة الميراث بحسابات دقيقة وثابتة وغير قابلة للنقد أو النقاش. كما ورد في سورة النساء على سبيل المثال قوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منهم أو أكثر نصيباً مفروضاً)^٢. وأيضاً قوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين. أبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضةً من الله إن الله كان عليمًا حكيمًا)^٣. ويقول حسين سيد أحمد المفتي: قد نظرت الشريعة الإسلامية إلى المصلحة من جميع جهاتها وقررت العدل المطلق الذي لا يختل ميزانه في وقت من الأوقات فلم تحرم المرأة من الميراث كما فعل بعض الجهلة بالتشريع، وطبائع الأمم، كجعل الميراث للولد الأكبر من أولاد المتوفى وغيرها. فأبطل الإسلام هذه العوائد، فلذلك لم تحرم الشريعة الإسلامية المرأة من الميراث، ولم تساو بينها وبين الرجل في القسمة حيث جعلت نصف الرجل، لأن الرجل يجب أن يمتاز بهذه الميزة المادية لما تستلزمه حياته من تكاليف تزيد عن حياة المرأة المسلمة. فالرجل مكلف بأن ينفق على زوجته والفقراء من أقربائه، والدفاع عن وطنه، وعرضه، وكل أعباء ما تستدعيه العادة والعرف من ضيافة ونحوه - وكل ذلك لا يتم إلا بالمال - وكل ذلك يجب على الرجل ولا يجب على المرأة ما دام الرجل موجوداً. ولهذه الأسباب مجتمعة فإن المال الذي ترثه المرأة يعد ربحاً لها وقد لا يساويه الخالص للرجل من نصيبه بعد إستيفاء المطالب الكثيرة التي ذكرت سابقاً^٤.

المادة الثالثة: تخالف منصوص الشرع الذي يقضى بقطع يد السارق والسارقة متى ثبتت الجريمة في حقهم، وبلغ المال المسروق النصاب المنصوص عليه شرعاً. كما ورد في

١ سورة البقرة ، الآية (٢٤٧) .

٢ سورة النساء ، الآية (٧) .

٣ سورة النساء ، الآية (١١) .

٤ تطور نظام القضاء في السودان، مرجع سبق ذكره، ج ١، ص. ٦٠-٦٣ .

قوله تعالى: (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عليم حكيم)^١.

المادة الرابعة: مخالفة لمنصوص الشرع الذى يحرم قتل النفس إلا بالحق. ومن يقتل نفساً وهو متعمد فجزاءه جهنم، وهو خالد فيها فيلحق به غضب الله ولعنته والعذاب العظيم. ومن يقتل نفساً غير متعمد أى قتلاً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يتصدقوا ومن لم يستطع ذلك فعليه بصيام شهرين متتابعين كما ورد فى قوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً)^٢. وأيضاً قوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبةً من الله، وكان الله عليماً حكيماً، ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها وغضب الله ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)^٣. وإذا كان القاتل صغيراً لم يتجاوز السبع سنوات تتم محاكمته بارساله الى تدابير الرعاية والإصلاح حيث يتم تأهيله بتعليمه أي حرفة لكسب عيشه لى ينفع نفسه والمجتمع.

المادة الخامسة: تخالف منصوص الشرع الذى يقضى بأن بالجلد مائة جلدة لكل من الزانية والزانى متى ما ثبتت جريمة الزنا بالاعتراف، أو الشهود، أو ظهور الحمل، كما ورد فى سورة النور قوله تعالى: (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)^٤. هذا فى الزانى البكر. فأما من أُحصن وزنى فإنه يرجم حتى يموت وقد فعل ذلك النبى (ص) فى من زنى.

المادة السادسة: مخالفة لقانون الشريعة الذى يقضى بأن الجزاء يجب أن يكون من جنس العمل كما ورد فى قوله تعالى: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف

١ سورة المائدة ، الآية (٣٨).

٢ سورة الإسراء، الآية (٣٣) .

٣ سورة النساء ، الآية (٩٣).

٤ سورة النور ، الآية (٣).

بالأنف والأذن والأذن باللسن واللسن بالجروح قصاص، ومن تصدق به فهو كفارة ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)^١.

المادة السابعة: مطابقة لقانون الشرع وهى وفق مذهب الإمام الشافعي لأنه هو الحد الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى عن أنس رضى الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب فى الخمر بالجريد والنعال أربعين)، ولكن فى الشريعة تضاف الى الجلد غرامة مالية .

المادة الثامنة: مطابقة لقانون الشرع.

المادة التاسعة: مخالفة لقانون الشريعة وقانون الإجراءات المدنية السوداني الحالي الذى ينص فى حالة حريق تسبب فيه شخص مجهول يدون بلاغاً تحت المادة (٤٤) من الإجراءات الجنائية والتي بموجبها تتم التحريات الأولية عن سبب الحريق، أو الفاعل، فقد يكون الفاعل شخص له عداوة مع المتضرر، أو يكون الحريق نتج عن طريق الخطأ، وغير متعمد. مثل شخص استعمل سيجارة فسقط جزء منها دون قصد منه على الزرع فنتج عن ذلك الحريق. أو شخص أستعمل النار بغرض الأكل أو الشرب وتطاير منه شرارة على الزرع ونتج على أثر ذلك الحريق. وإذا وجد الفاعل أو تم القبض عليه يدون له بلاغ تحت المادة (١٨٢) من القانون الجنائي السوداني الحالي. وهى تسمى بالإتلاف الجنائي والتي بموجبها تتم معاقبة الجاني بالسجن مدة لا تتجاوز خمس سنوات، أو بالغرامة، أو بالعقوبتين معاً.

المادة العاشرة: مخالفة لقانون الشرع وقانون الإجراءات الجنائية السوداني، والذى ينص على أن كل من يوجه إساءة أو سباب لشخص بما لا يبلغ درجة القذف أو إهانة السمعة بقصد إهانته يعاقب بالسجن لمدة لا تتجاوز شهراً أو بالجلد بما لا يتجاوز خمساً وعشرين جلدة أو بالغرامة.

المادة الحادية عشرة: مخالفة للشرع فقد يكون الفعل الذى وقع من الحدث أو الصغير يؤدى إلى القتل مثل الضرب بآلة حادة، فهنا ينص القانون الجنائي السوداني على أن تتم معاقبة الصغير وذلك بارساله الى دار الرعاية والإصلاح فيقضى مدة السجن هناك حيث يتم تدريبه على حرفة تكون له وسيلة لكسب عيشه بعد قضاء مدة سجنه، فينفع نفسه والمجتمع. أما إذا وقع فعل بسيط يحل بواسطة أولياء أمورهم.

المادة الثانية عشر: تشير إلى العلاقات الطيبة فى مجتمع دارفور وتعاونهم لسد احتياجات بعضهم البعض وهى عادة حسنة وفريدة فى نوعها ونادرة الوجود تميزت بها سلطنة دارفور عن غيرها.

المادة الثالثة عشر: مخالفة لقانون الشريعة مخالفة صريحة الذى يحرم قتل النفس إلا بالحق كما ورد سابقاً والذى يدخل فى باب القتل العمد. كما أن قتل شخص بتلك الصفات الجسمية المعينة ككبر الرأس يدخل فى باب الكهانة الذى نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه... فقد برئ بما أنزل على محمد).

وعموماً إن الفور استنبطوا نظاماً قضائياً استندوا فى بعض أحكامه على الشريعة الإسلامية والجزء الأكبر اعتمدوا فيه على العرف.